الحكومة الليبية
الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية
الإدارة العامة للمعاهد الدينية

التَّفْسِير

للسنة الأولى
بالمعاهد التخصصية للدراسات الإسلامية

إعداد لجنة المناهج

الطبعة الثانية
1444 – 1445 هجري
2022 – 2023 ميلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وجعله هدى وبشرى للمؤمنين، وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أولى ما اتجهت إليه الهمم واشتدت إليه، العزائم هو القرآن الكريم وتفسيره، فهو كتاب الله تبارك وتعالى الفصل ليس بالهزل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو معجزة الإسلام الخالدة التي أرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها نبيه محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولقد شمر العلماء الربانيون عن سواعد الجد، واغترفوا من علومه لمعرفة معانيه، والعمل بما يقتضيه، فاهتدوا بهديه وتخلقوا بأخلاقه، والله تعالى أمرنا بتدبر هذا الكتاب العظيم فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ ولابد لتدبر القرآن من فهم معانيه ومباحثه، وذلك بمعرفة تفسيره، وما نقل العلماء مما قيل فيه.

وعليه: فنضع بين يدي طلبة المعاهد الدينية التابعة للهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية بالحكومة الليبية منهج مادة التفسير لطلاب السنة الأولى، وقد احتوى على بعض الأحاديث في آداب مُعلِّم القُرآن، ومُتعَلِّمه وما يندرج تحتها مع شرح مقتضب لها، ومقدمة مختصرة في أصول التفسير مع تفسير حزب «**الأعلى**» من كتاب الله تعالى، ليكون مفتاحاً لهم لفهم معاني كتاب الله تعالى، ومعرفة ألفاظه، والوقوف على أحكامه، بأسلوب سهل ميسر لا بالتطويل الممل ولا الاختصار المخل، وصولاً لتدّبر كلام الله جل وعلا ثم العمل به.

نسأل الله التوفيق والسداد

توجيهات
(في طريقة تدريس مادة التفسير)

١-على المعلم أن يعد درسه في كراسة إعداد الدروس بعد أن يقرأ الموضوعات من المقرر وبعد أن يرجع إلى المراجع الموثوقة في التفسير.

٢-يحرص المعلم على إعداد الآيات على السبورة؛ كي يتمكن من مناقشة التلاميذ في هذه الآيات.

٣-يمهد المعلم لدرسه من خلال الموضوع قبل أن يعلن الدرس، والتمهيد يكون بوسيلة تعليمية أو قصة لها علاقة بموضوع الآيات أو أسئلة يتوصل من خلالها للموضوع أو أسئلة في الدرس الماضي إذا كان إكمالا لهذا الدرس أو ربط العلاقة بينهما.

٤-يبين المعلم بعد ذلك موضوع الدرس ويدونه على السبورة.

٥-يناقش المعلم تلاميذه في الآيات آية آية، ويبتعد عن طريقة الإلقاء المجرد.

٦-يطلب المعلم من تلاميذه بيان معاني المفردات، وإن وجد التلاميذ صعوبة في ذلك قرب لهم المعنى كأن يضع المفردة في عبارة مفيدة أو يذكرهم بخبرة سابقة.

٧-يدون المعلم على السبورة معاني المفردات والأحكام والفوائد التي توصل إليها التلاميذ بمساعدته.

٨-يحرص المعلم على إحضار الوسائل التعليمية المعينة على فهم النص مستعينا بما حوله من مكونات البيئة.

٩- يكلف المعلم تلاميذه بحل الأسئلة المقترحة للمناقشة في الكتاب أو الأسئلة التي يقترحها هو ولا يقتصر على الأسئلة الموجودة في الكتاب؛ لأنها مجرد أنموذج يدل

على نوع الأسئلة الجيدة، والبعد عن الأسئلة التقليدية التي لا تقيس سوى مستوى الحفظ.

١٠- على المعلم أن يربط هذه الآيات ومعانيها بواقع حياة الطلاب فينبههم إلى المخالفات التي تقع من الأفراد أو المجتمع لهذه الآيات وأسلوب علاجها.

١١- على المعلم مراعاة الأحاديث والآثار غير المنسوبة والبحث عنها في مظانها وبيانها للتلاميذ.

وأخيرا نذكر المعلم بأنه يؤدي رسالة عظيمة سيثيبه الله عليها أعظم ثواب إن هو أخلص النية لله، وأن هؤلاء التلاميذ أمانة في عنقه سيسأله الله عنهم يوم القيامة.

واللّه ولي التوفيق

مفردات الوحدة الأولى

- مقدمة في آداب مُعلِّم القرآن، ومُتعلِّمه
- مقدمة مختصرة في أصول التفسير
- ســورة الفاتحة
- ســورة الناس
- سورة الفلق
- سورة الإخلاص
- سورة المسد
- سورة النصر
- سورة الكافرون
- سورة الكوثر
- سورة الماعون
- سورة قريش
- سورة الفيل
- سورة الهمزة
- سورة العصر
- سورة التكاثر
- سورة القارعة
- سورة العاديات

مدخل
(مقدمة في آداب مُعلِّم القرآن، ومُتعلِّمه)

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن مما ينبغي على قارئ القرآن وحامله أن يكون ملما ببعض آداب حملته سواء كانوا معلمين أو متعلمين ولقد اهتم أئمة الإسلام بهذا الأمر أيما اهتمام فألفوا في هذا الأمر المؤلفات فقد ألف فيه الإمام الآجري والنووي رَحِمَهُمَااللَّهُ وهذه طائفة من هذه الآداب انتقيناها من كتب الأئمة نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بها.

أولاً: وجوب إخلاص النية في تعلمه وتعليمه:

أوَّل ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصدَا بذلك رِضا الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة].

وفي الصحيحين عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى»، وهذا الحديث مِن أصول الإسلام.

وينبغي للمعلِّم ألاَّ يقصد بإقرائه توصُّلاً إلى غرض من أغراض الدنيا، من مال أو رئاسة أو وجاهة، أو ارتفاع على أقرانه، أو ثناء عندَ الناس، أو صَرْف وجوه الناس إليه، أو نحو ذلك، ولا يشوب المقرئُ إقراءَه بطمع في رِفْق يحصل له مَن بعض مَن يقرأ عليه، سواء أكان الرِّفق مالاً أو خِدمة وإن قلَّ ولو كان على صورة الهدية التي لولا قراءتُه عليه لَمَا أهداها إليه.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء:١٨].

وليحذرِ المعلِّمُ كلَّ الحذر مِن قصْده التكثُّرَ بكثرة المشتغلين عليه، والمختلفين إليه، وليحذرْ من كراهته قراءةَ أصحابه على غيره ممَّن ينتفع به، وهذه مصيبة يُبتلَى بها بعضُ المعلمين الجاهلين، وهي دلالةٌ بيِّنة من صاحبها على سوء نيَّته، وفساد طويته، بل هي حُجَّة قاطعة على عدم إرادته بتعليمه وجهَ الله تعالى الكريم، فإنَّه لو أراد الله بتعليمه لَما كره ذلك، بل قال لنفسه: أنا أردتُ الطاعة بتعليمه وقد حصلتْ، وقد قصد بقراءته على غيري زيادةَ علم فلا عتابَ عليه.

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّه قال: يا حملةَ القرآن، أو قال: يا حملةَ العلم، اعملوا به، فإنَّما العالِم مَن عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلمَ لا يجاوز تَرَاقِيَهم [1] يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقًا يُباهي بعضُهم بعضًا حتى إنَّ الرجل ليغضبُ على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعَه، أولئك لا تَصعد أعمالُهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى،[الجامع للخطيب رقم٣٠] وقد صحَّ عن الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّه قال: وددتُ أنَّ الخَلْق تعلَّموا هذا العلم يعني: عِلمَه وكتبه وألاَّ ينسب إليَّ حرف منه [التبيان للنووي ص ٣٣].

ويَنبغي للمُعلِّم أن يتخلَّق بالمحاسن التي ورد الشَّرْع بها والخصال الحميدة، والشيم المرضية، التي أرشده الله إليها من الزَّهادة في الدنيا، والتقليلِ منها، وعدمِ المبالاة بها وبأهلها، والسخاء والجود، ومكارم الأخلاق، وطَلاقة الوجه مِن غير خروج إلى

---

(١) الترقوة: بفتح التاء: مُقدَّم الحَلْق في أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس، والجمع، التراقي؛ انظر القاموس، مادة «ترق».

حدِّ الخلاعة، والحِلْم والصبر، والتَّنزُّه عن دنيء المكاسب، ومُلازمة الورع والخشوع، والسكينة والوقار، والتواضع والخضوع، واجتناب الضَّحِك والإكثارِ من المزاح، وملازمة الوظائف الشرعية، كالتَّنظيف بإزالة الأوساخ، والشعور التي ورَدَ الشرع بإزالتها، كقصِّ الشارب، وتقليم الظفر، وتسريح اللحية، وإزالة الروائح الكريهة، والملابس المكروهة.

وليحذرْ كلَّ الحذر من الحَسَد والرياء، والعُجب واحتقار غيره، وإن كان دونَه.

وينبغي أن يستعملَ الأحاديث الواردة في التسبيح والتهليل، ونحوهما من الأذكار والدعوات، وأن يراقبَ الله تعالى في سِرِّه وعلانيته، ويحافظ على ذلك، وأن يكون تعويلُه في جميع أموره على الله تعالى.

ويَنبغي له أن يرفق بمن يقرأ عليه، وأن يرحِّب به، ويحسن إليه بحسب حاله، عن أبي هارون العبدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنَّا نأتي أبا سعيد الخدريَّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيقول: مرحبًا بوصية رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال: إنَّ الناس لكم تبع، وإنَّ رجالاً يأتونكم من أقْطار الأرض يتفقَّهون في الدِّين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرًا» [1]

وينبغي أن يبذلَ لهم النصيحة، فإنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [2].

ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه: إكرامُ قارئه وطالبه، وإرشادُه إلى مصلحته، والرِّفق به، ومساعدته على طلبه بما أمكن، وتأليفُ قلْب الطالب، وأن يكون سمحًا بتعليمه في رِفْق، متلطفًا به، ومحرضًا له على التعلُّم.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما . انظر صحيح ابن ماجه٢٤٣.

(٢) صحيح مسلم (١/ ٧٤)

وينبغي أن يذكِّره فضيلة ذلك؛ ليكونَ سببًا في نشاطه، وزيادة في رغبته، ويُزهِّدَه في الدنيا، ويصرفَه عن الركون إليها، والاغترار بها.

ويذكِّره فضيلةَ الاشتغال بالقرآن وسائرِ العلوم الشرعية، وهو طريق العارفين، وعباد الله الصالحين، وأنَّ ذلك رُتبة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وينبغي أن يُشفِق على الطالب، ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولدِه ومصالح نفسه، ويجري المتعلِّم مجرى ولدِه في الشفقة عليه، والصبر على جفائه، وسوء أدبه، ويَعذِره في قلَّة أدبه في بعض الأحيان، فإنَّ الإنسان معرَّض للنقائص، ولا سيَّما إن كان صغيرَ السن.

وينبغي أن يحبَّ له ما يحبُّ لنفسه من الخير، وأن يكرَه له ما يكرُه لنفسه من النقص مطلقًا، فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه».

وينبغي ألاَّ يتعاظَم على المتعلِّمين، بل يلين لهم ويتواضع معهم، فقد جاء في التواضُع لآحاد الناس أشياءُ كثيرةٌ معروفة، فكيف بهؤلاء الذين هم بمنزلة أولاده؟! مع ما هم عليه من الاشتغال بالقرآن، ومع ما لهم من حقِّ الصحبة، وتردُّدهم إليه، وعن أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ينبغي للعالِم أن يضعَ الترابَ على رأسه؛ تواضعًا لله عَزَّ وَجَلَّ [المجالسة وجواهر العلم ٤٩٥].

الأسئلة

س١: استدل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجوب توفر النية الصالحة في كل عمل يعمله الإنسان.

س٢: استدل على أنه يجب على العالم العمل بما علم.

ثانياً: في ما ينبغي أن يكون عليه معلم القرآن:

من آدابه: أن يكونَ على أكملِ الأحوال، وأكرم الشمائل، وأن يرفعَ نفسَه عن كلِّ ما نهى القرآن عنه؛ إجلالاً للقرآن، وأن يكون مصونًا عن دنيء الاكتساب، شريفَ النفس، مرتفعًا على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا، متواضعًا للصالحين وأهل الخير والمساكين، وأن يكون مُتخشِّعًا، ذا سكينة ووقار.

فقد جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّه قال: «يا معشر القُرَّاء، ارْفعوا رؤوسكم، فقد وَضَح لكم الطريق، فاستبقوا الخيرات، لا تكونوا عيالاً على الناس» [فوائد منتقاة من حديث أبي شعيب الحراني رقم ١١].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ينبغي لحامِلِ القرآن أن يُعرَفَ بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطِرون، وبحُزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصَمْته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يَختالون» [مقدمة تفسير القرطبي].

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «إنَّ مَن كان قبلكم رأَوُا القرآن رسائلَ من ربهم، فكانوا يتدبَّرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار». [التبيان في آداب حملة القرآن ص٥٤].

وعن الفُضَيل بن عِياض قال: «حامِلُ القرآن حاملُ راية الإسلام، لا يَنْبغي أن يلهوَ مع مَن يلهو، ولا يسهوَ مع مَن يسهو، ولا يلغوَ مع مَن يلغو؛ تعظيمًا لحق القرآن». [أخلاق حملة القرآن للآجري رقم ٣٥].

ومن أهمِّ ما يؤمر به: أن يَحذرَ كلَّ الحذر من اتِّخاذ القرآن معيشةً يتكسب بها، فقد جاء عن عبد الرحمن بن شبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرؤوا القرآنَ، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، ولا تَجْفوا عنه، ولا تَغْلُوا فيه». [انظر الصحيحة رقم٢٦٠].

وينبغي أن يحافظَ على تلاوته ويُكثِر منها، وكان السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم عاداتٌ مختلفة في قدر ما يختمون فيه:

فرُوي عن بعض السلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: أنهم كانوا يَختِمون في كلِّ شهرين خَتْمة واحدة، وعن بعضهم في كلِّ شهر خَتْمة، وعن بعضهم في كلِّ عشر ليالٍ ختمة، وعن بعضهم في كلِّ ثماني ليال، وعن الأكثرين في كلِّ سبع ليال، وعن بعضهم في كلِّ ستّ، وعن بعضهم في كلِّ خمس، وعن بعضهم في كلِّ أربع، وعن كثيرين في كلِّ ثلاث، وعن بعضهم في كلِّ ليلتين، وختم بعضُهم في كلِّ يوم وليلة ختمة، ومنهم من كان يختم ثلاثًا، وختم بعضُهم ثماني ختمات؛ أربعًا بالليل، وأربعًا بالنهار.

والاختيار: أنَّ ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمَن كان يظهر له بدقيق الفِكر لطائفُ ومعارف، فلْيَقتصرْ على قدرِ ما يحصل له كمالُ فَهْم ما يقرؤه، وكذا مَن كان مشغولاً بنشْر العلم، أو غيره من مهمَّات الدِّين، ومصالح المسلمين العامة، فليقتصرْ على قدر لا يحصل بسببه إخلالٌ بما هو مرصود له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين، فليستكثرْ ما أمكنَه من غير خروج إلى حدِّ الملل والهذرمة.

وقد كَرِه جماعة من المتقدِّمين الختْم في يوم وليلة، ويدلُّ عليه الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لا يَفقُه مَن قرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث»؛ رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وغيرهم، قال الترمذي: حديثٌ حسن صحيح، والله أعلم.

وأما وقت الابتداء والختْم لِمَن يختم في الأسبوع: فقد روى أبو داود أنَّ عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان يفتتح القرآنَ ليلةَ الجمعة، ويختِمه ليلةَ الخميس، ورُوي عن عمر بن مرة التابعي قال: كانوا يحبُّون أن يختم القرآن من أوَّل اللَّيْل أو من أول النهار.

وعن طلحة بن مصرِّف التابعي الجليل قال: مَن خَتَم القرآن أيَّةَ ساعة كانت من النهار صلَّتْ عليه الملائكة حتى يُمسي، وأيةَ ساعة كانت من الليل صلَّتْ عليه الملائكة حتى يُصبح، وعن مجاهد مِثْلُه [التبيان للنووي].

الأسئلة

س١ : ما أهم ما يؤمر به حامل القرآن؟

س٢ : وضح كيف كان حال السلف مع ختم القرآن.

س٣: كره جماعة من المتقدمين ختم القرآن في يوم وليلة، اذكر حديثاً يدل على ذلك.

س٤ : اذكر بعض الآداب التي يجب أن يتحلى بها معلم القرآن.

ثالثا: في المحافظة على القراءة بالليل:

ينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثرَ، قال الله – تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران].

وثَبَت في الصحيح عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنَّه قال: «نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله، لو كان يصلِّي مِنَ الليل».

وفي الحديث الآخر من الصحيح: أنَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يا عبدَ الله، لا تكنْ مثلَ فلان، كان يقوم الليلَ ثم تَرَكَه».

وروى الطبرانيُّ وغيره عن سهْل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «شَرَفُ المؤمن قِيامُ الليل» [الصحيحة ١٩٠٣]، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة.

وقد جاء عن أبي الأحوص الجُشَمي قال: إنْ كان الرجلُ ليطرق الفسطاط طرقاً أي يأتيه ليلاً فيسمع لأهله دويًّا كدويِّ النحل، قال: فما بالُ هؤلاء يأْمنون ما كان أولئك يخافون؟! [التبيان للنووي].

وعن إبراهيم النَّخَعي كان يقول: «اقرؤوا مِن الليل، ولو حَلْبَ شاة» [التبيان للنووي].

وعن يَزيد الرَّقَاشي قال: إذا أنا نِمتُ ثم استيقظتُ ثم نِمت، فلا نامتْ عيناي [التبيان للنووي].

وإنما رجحتْ صلاة الليل وقراءته؛ لكونها أجمعَ للقلْب، وأبعدَ عن الشاغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصونَ عن الرياء وغيره من المحبطات، مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل؛ فإنَّ الإسراء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ليلاً، وحديث: «ينزل ربُّكم كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا حين يَمْضي شطرُ الليل، فيقول: هل مِن داعٍ فأستجيبَ له...» الحديث؛ [انظر صحيح مسلم].

واعلم أنَّ فضيلةَ القيام بالليل والقراءة فيه تحصُل بالقليل والكثير، وكلَّما كثُر كان أفضلَ، إلاَّ أن يستوعب الليل كله، فإنَّه يُكره الدوام عليه، وإلاَّ أن يضرَّ بنفسه.

ومما يدلُّ على حصوله بالقليل حديثُ عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَن قام بعشر آيات لم يُكتبْ من الغافلين، ومَن قام بمائة آية كُتِب من القانتين، ومَن قام بألْف آية كُتِب من المُقْسطين». [رواه أبو داود وغيره].

وحكى الثعلبيُّ عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «مَن صلَّى بالليل ركعتَين فقد بات لله ساجدًا وقائمًا». [التبيان للنووي].

الأسئلة

س١ : استدل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فضيلة قيام الليل.

س٢ : اذكر حديثاً ذم فيه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ترك قيام الليل.

س٣: اذكر دليلاً على حصول فضيلة قيام الليل ولو بالقليل.

رابعاً: في الآداب مع القرآن:

فأول ذلك يجب على القارئ الإخلاصُ كما قدمْناه، ومراعاة الأدب مع القرآن، فينبغي أن يستحضرَ في نفسه أنه يناجي الله تعالى ويقرأ على حال مَن يرى الله تعالى فإنَّه إن لم يكن يراه، فإنَّ الله تعالى يراه.

وينبغي إذا أراد القِراءة أن يُنظِّف فاه بالسواك وغيرِه، ويستحب أن يقرأ وهو على طهارة، فإنْ قرأ محدِثًا جاز بإجماع المسلمين، والأحاديث فيه كثيرة معروفة، فإن لم يجدِ الماء تيمَّم، وأما الجُنب والحائض فإنَّه يحرُم عليهما قراءة القرآن، سواء كان آية أو أقل منها، ويجوز لهما إجراءُ القرآن على قلبهما من غيرِ تلفُّظ به، ويجوز لهما النظرُ في المصحف وإمراره على القلْب، وأجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغير ذلك من الأذكار للجُنب والحائض.

ويجوز لهما أن يقولاَ عند المصيبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[البقرة] إذا لم يقصدَا القرآن.

ويجوز أن يقولاَ عند ركوب الدابة: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣﴾ [الزخرف].

وعند الدعاء: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة]، إذا لم يقصدَا القرآن.

ويُستحبُّ أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار، ولهذا استحبَّ جماعةٌ من العلماء القراءةَ في المسجد؛ لكونه جامعًا للنظافة، وشَرَف البقعة، ومحصلاً لفضيلة أخرى، وهي الاعتكاف، فإنَّه ينبغي أوَّل دخوله المسجد أن ينويَ الاعتكاف، وهذا الأدب ينبغي أن يُعتنَى به، ويُشاع ذِكرُه، ويعرفه الصِّغار والعوام، فإنَّه ممَّا يغفل عنه.

وعن أبي ميسرة قال: لا يُذْكَر الله إلاَّ في مكان طيِّب.

وأما القراءة في الطريق فالمختارُ أنَّها جائزة، غيرُ مكروهة إذا لم يَلْتهِ صاحبها، فإن الْتَهى عنها كرهتْ، كما كره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القراءةَ للناعس؛ مخافةً من الخلْط.

ويستحب للقارئ في غير الصلاة أن يستقبلَ القِبلة، ويجلس متخشِّعًا بسكينة ووقار، مطرقًا رأسه، ويكون جلوسه وحدَه في تحسين أدبه وخضوعه كجُلوسه بين يدي معلِّمه، فهذا هو الأكمل، ولو قرأ قائمًا أو مضطجعًا على فراشه، أو على غير ذلك من الأحوال، جازَ وله أجرٌ، ولكن دون الأول.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران]

وثَبَت في الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يتَّكئ في حجري وأنا حائض، ويقرأ القرآن»؛ [رواه البخاري ومسلم].

وفي رواية: «يقرأ القرآن ورأسُه في حجري».

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إني أقرأُ القرآن في صلاتي، وأقرأ على فراشي [التبيان للنووي].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: إني لا أقرأُ حِزْبي وأنا مضطجعةٌ على السرير [التبيان للنووي].

فإن أراد الشروعَ في القراءة استعاذَ فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا قال الجمهور من العلماء.

وقال بعض العلماء: يتعوَّذ بعدَ القراءة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل].

وتقدير الآية عند الجمهور: إذا أردتَ القراءة فاستعذْ، ثم صيغة التعوُّذ كما ذكرْناه، وكان جماعةٌ من السلف يقولون: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ولا بأس بهذا، ولكن الاختيار هو الأول، ثم إنَّ التعوُّذَ مستحب، وليس بواجب، وهو مستحبٌّ لكلِّ قارئ سواء كان في الصلاة، أو في غيرها.

وينبغي أن يحافظَ على قراءة (البسملة) في أوَّل كل سورة سوى براءة، فإذا أخلَّ بالبسملة كان تاركًا لبعض القرآن عند الأكثرين.

فإذا شَرَع في القراءة، فليكنْ شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، فهو المقصودُ المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

والأحاديث فيه كثيرة، وأقاويل السلف فيه مشهورة، وقد بات جماعةٌ من السلف يتْلُون آية واحدة يتدبرونها، ويُردِّدونها إلى الصباح، وعن بعض الصالحين: «دواء القلْب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبُّر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرُّع عند السَّحَر، ومجالسة الصالحين».

عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قام النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بآية يُردِّدها حتى أصبح، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية [المائدة: ١١٨]؛ [رواه النسائي وابن ماجه].

وعن تميمٍ الداري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه كرَّر هذه الآية حتى أصبح: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١] [التبيان للنووي].

وعن عُبادة بن حمزة قال: دخلت على أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾[الطور].

فوقفتُ عندها، فجعلتْ تعيدها وتدعو، فطال عليَّ ذلك فذهبتُ إلى السوق فقضيتُ حاجتي، ثم رجعتُ وهي تعيدها وتدعو، ورُويتْ هذه القصة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وردَّد ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ [طه].

وردَّد سعيد بن جُبير: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وردَّد أيضًا: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾[غافر].

وكان الضحَّاك إذا تلاَ قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] ردَّدها إلى السَّحَر [انظر التبيان للنووي].

الأسئلة

س١ : اذكر بعضا من الآداب التي تكون مع القرآن.

س٢ : استدل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على جواز قراءة القرآن قائما أو قاعدا أو على جنب.

س٣: اذكر دليلا على مشروعية قراءة آية واحدة يرددها المصلي في صلاة الليل.

فضل حملة القرآن

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ المُؤْمِنِ الذِي يَقْرَأُ القَرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ رِيحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤمِنِ الذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيحانَةَ رِيحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلَ المُنَافِقِ الذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ» [أخرجه البخاري ح (٥٤٢٧)، ومسلم ح (٧٩٧)]

في هذا الحديث يبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضل قراءة القرآن وتفاوت حظوظ الناس في هذه القراءة ويقسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس إلى أربعة أصناف، ويضرب لكل صنف مثلاً يُجلي أمره، ويوضح حقيقته.

فالصنف الأول: «المُؤْمِنِ الذِي يَقْرَأُ القَرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ رِيحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ»

وهذا الصنف هو خير الأصناف وأفضلها، مؤمن جمع إلى إيمانه قراءة القرآن وتلاوته، وهي تلاوة مقرونة بالعمل والاستجابة لله ورسوله، ولهذا فقد جاء في رواية عند البخاري: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به» وقد شبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الصنف بالأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب.

والأُتْرُجَّة: بضم فسكون فضم، فجيم مشددة نوع من الفاكهة.

قال الحافظ: «قيل خَص صفة الإيمان بالطعم، وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الإيمان من دون القراءة، وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه، ثم قيل: الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة، لأنه

يتداوى بقشرها، وهو مُفرح بالخاصية، ويستخرج من حبها دهن له منافع....وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن وفيها أيضاً من المزايا كبر جرمها، وحسن منظرها، وتَفرِيحُ لونها، ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة، وجودة هضم، ولها منافع أخرى» بتصرف فتح الباري (٩/ ٦٦ ٦٧).

قال الحافظ ابن القيم بعد أن ذكر منافع الأترج وخصائصه: «وحقيق بشيء هذه منافعه أن يُشبه به خلاصة الوجود، وهو المؤمن الذي يقرأ القرآن، وكان بعض السلف يحب النظر إليه لما في منظره من التفريح» [زاد المعاد (٢٨٥/٤)]

ثم ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصنف الثاني فقال:» وَمَثَلُ المُؤمِنِ الذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ »

وهذا الصنف أدنى منزلةٍ وأقل رتبةٍ من الصنف الأول، فالمؤمن الذي لا يقرأ القرآن تحققت له فضيلة الإيمان، وفاته تلاوة القرآن التي تظهر على اللسان وتخرج من الفم فهي بمثابة الريح الطيبة التي تفوح من الفم فشبه بالتمرة التي تتصف بحلاوة الطعم، ولكنها تفتقد الرائحة الذكية الطيبة.

ثم قال عليه الصلاة والسلام عن الصنف الثالث:» وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيحانَةَ رِيحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌ «وفي رواية:» مثل الفاجر الذي يقرأ القرآن »

والريحانة: نبات طيب الرائحة، مر المذاق، فما يخرج من فم المنافق من كلمات القرآن العظيم فهي ذاكية الرائحة، وأما الناطق بها فخبيث المعدن، سيئ الطوية فهو مثل الريحانة الموصوفة بالمرارة.

قال ابن بطال: قراءة الفاجر والمنافق لا ترتفع إلى الله ولا تزكو عنده، وإنما يزكو عنده ويرتفع إليه من الأعمال ما أريد به وجهه، وكان عن نية وقربة إليه تعالى، ألا ترى أنه شبه الفاجر الذي يقرأ القرآن بالريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر حين لم ينتفع ببركة القرآن،

ولم يفز بحلاوة أجره، فلم يجاوز الطيب حلوقهم من موضع الصوت... وهؤلاء هم الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٥٥٦)]

قال الحسن البصري: قراء القرآن على ثلاثة أصناف: صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به، وصنف أقاموا حروفه، وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم.... كثير هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم، واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن، فأولئك يسقي الله بهم الغيث، وينصر بهم على الأعداء، والله لهذا الضرب من حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر [ينظر: أخلاق حملة القرآن (ص:٦٤ ٦٥)]

ثم قال عليه الصلاة والسلام عن الصنف الرابع: «وَمَثَلَ الْمُنَافِقِ الذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»

والحنْظَلَة: نبات معروف شديد المرارة، ولا ريح له، فشبه به هذا الصنف الرابع الذي أصيب بسوء المظهر والمخبر، وفساد الجوهر والشكل.

وهذا الحديث يدل على فضل القرآن الكريم وفضيلة حامليه، المؤمنين به العاملين بما جاء فيه حيث شبههم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأترجة التي فُضلت على سائر الفواكه.

الأسئلة

س١: اشرح حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدال على فضل قراءة القرآن وأقسام الناس فيه.

مقدمة (مختصرة في أصول التفسير)

التفسير لغة: من الفسر، وهو: الكشف عن المغطى.

وفي الاصطلاح: بيان معاني القرآن الكريم.

وتعلم التفسير واجب عيني فيما لا يسوغ جهله مثال ذلك قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فيجب أن يعرف المسلم كيف يقيم الصلاة وكذلك الزكاة، وما زاد على ذلك فإنه فرض كفاية يجب على المسلمين عموما أن يقوموا به، فإن قام به أحد يكتفى به لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، ولقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد٢٤].

وجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى بين أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك؛ أن يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بما فيها.

والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن ذلك، فاتت الحكمة من إنزال القرآن، وصار مجرد ألفاظ لا تأثير لها.

ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن من دون فهم معانيه.

ووجه الدلالة من الآية الثانية أن الله تعالى وبخ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن، وأشار إلى أن ذلك من الإقفال على قلوبهم، وعدم وصول الخير إليها.

وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة، يتعلمون القرآن ألفاظه ومعانيه؛ لأنهم بذلك يتمكنون من العمل بالقرآن على مراد الله به فإن العمل بما لا يعرف معناه غير ممكن.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر آيات، لم يجاوزوها، حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه: والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب، ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم. ويجب على أهل العلم، أن يبينوه للناس عن طريق الكتابة أو المشافهة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وتبيين الكتاب للناس شامل لتبيين ألفاظه ومعانيه، فيكون تفسير القرآن، مما أخذ الله العهد على أهل العلم ببيانه. [مقدمة التفسير]

والغرض من تعلم التفسير هو الوصول إلى الغايات الحميدة والثمرات الجليلة، وهي التصديق بأخباره والانتفاع بها وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله؛ ليعبد الله بها على بصيره.

الواجب على المسلم في تفسير القرآن

الواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يشعر نفسه حين يفسر القرآن بأنه مترجم عن الله تعالى، شاهد عليه بما أريد من كلامه فيكون معظماً لهذه الشهادة خائفاً من أن يقول على الله بلا علم، فيقع فيما حرم الله، فيُجزى بذلك يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر].

الأسئلة

س١: عرف التفسير لغة واصطلاحاً.

س٢: ما وجه الدلالة من قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾؟

س٣: ما الواجب على المسلم في تفسير القرآن؟

المشتهرون بالتفسير من الصحابة

اشتهر بالتفسير جماعة من الصحابة، ذكر السيوطي منهم:

الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم، إلا أن الرواية عن الثلاثة الأولين لم تكن كثيرة؛ لانشغالهم بالخلافة، وقلة الحاجة إلى النقل في ذلك لكثرة العالمين بالتفسير.

ومن المشتهرين بالتفسير من الصحابة أيضاً: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ .

وهذه ترجمة لحياة كل من علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم جميعاً.

١- علي بن أبي طالب:

هو ابن عم الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزوج ابنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وعنها، وأول من آمن به من قرابته، اشتهر بهذا الاسم وكنيته أبو الحسن، وأبو تراب

ولد قبل بعثة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشر سنين، وتربى في حِجْر النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهد معه المشاهد كلها، وكان صاحب اللواء في معظمها، ولم يتخلف إلا في غزوة تبوك، خلفه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهله، وقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» [أخرجه البخاري حديث رقم (٤٤١٦)، ومسلم حديث رقم (٦٢١٨)]، نقل له من المناقب والفضائل ما لم ينقل لغيره، وهلك به طائفتان: النواصب الذين نصبوا له العداوة، وحاولوا إخفاء مناقبه، و الروافض الذين بالغوا فيما زعموه من حبه، وأحدثوا له من المناقب التي وضعوها ما هو في غنى عنه، بل هو عند التأمل من المثالب.

اشتهر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالشجاعة والذكاء مع العلم والزكاء حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن، ومن أمثلة النحويين: قضية ولا أبا حسن لها، وروي عن علي أنه كان يقول: سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله تعالى، فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أَنَزَلت بليل أو نهار، وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به، وروى عنه أنه قال: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب كان أحد أهل الشورى الذين رشحهم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لتعيين الخليفة، فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف فأبى إلا بشروط لم يقبل بعضها، ثم بايع عثمان فبايعه علي والناس، ثم بويع بالخلافة بعد عثمان حتى قتل شهيداً في الكوفة ليلة السابع عشر من رمضان، سنة أربعين من الهجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

٢- عبد الله بن مسعود:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، وأُمه أُمُّ عَبْدٍ كان ينسب إليها أحياناً (٢)، وكان من السابقين الأولين في الإِسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً، وما بعدها من المشاهد.

تلقى من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضعاً وسبعين سورة من القرآن، وقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول الإِسلام: «إنك لغلام مُعَلَّم» [أخرجه أحمد (١/٣٧٩، ٤٦٢)]، وقال: «من أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أُم عَبْد» [أخرجه ابن ماجة (١٣٨)]، وفي «صحيح البخاري» [(حديث رقم ٥٠٠٠)] أن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لقد علم أصحاب رسول الله أني من أعلمهم بكتاب الله، وقال: والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن

(٢) وذلك لأن أباه مات في الجاهلية، وأدركت أمه الإسلام فأسلمت.

أُنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه، وكان ممن خَدَم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان صاحبَ نعليه وطهوره و وساده حتى قال أبو موسى الأشعري: قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [أخرجه البخاري. حديث رقم (٣٧٦٣)، ومسلم، حديث رقم (٢٤٦٠)]، ومن أجل ملازمته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأثر به و بهديه، حتى قال فيه حذيفة: ما أَعرف أحداً أقرب هدياً وسمتاً ودلّاً بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ابن أُم عَبْد [أخرجه البخاري حديث رقم (٢٧٦٢)].

بعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة؛ ليعلمهم أُمور دينهم، وبعث عماراً أميراً وقال: إنهما من النجباء من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاقتدوا بهما، ثم أَمَّرهُ عثمان على الكوفة، ثم عزله، وأَمَرَهُ بالرجوع إلى المدينة، فتوفي فيها سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وسبعين سنة.

٣- عبد الله بن عباس:

هو ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين لازم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه ابن عمه، وخالته ميمونة تحت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وضمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صدره وقال: اللهم علِّمه الحكمة، وفي رواية: الكتاب [أخرجه البخاري حديث رقم (٣٧٥٦)]، وقال له حين وضع له وضوءه: اللهم فَقِّهْهُ في الدين [أخرجه البخاري حديث رقم (١٤٣)]، فكان بهذا الدعاء المبارك حِبْرَ الأمة في نشر التفسير والفقه، حيث وفقه الله تعالى للحرص على العلم والجد في طلبه والصبر على تلقيه وبذله، فنال بذلك مكاناً عالياً حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدعوه إلى مَجَالِسه ويأخذ بقوله، فقال المهاجرون: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟! فقال لهم: ذاكم فتى الكهول له لسان

سؤول وقلب عقول، ثم دعاهم ذات يوم فأدخله معهم ليريهم منه ما رآه، فقال عمر: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ النصر: ١ حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا، وسكت بعضهم، فقال عمر لابن عباس: أكذلك تقول؟ قال: لا، قال: فما تقول؟ قال: هو أجل رسول الله، أعلمه الله له إذا جاء نصر الله، والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك، واستغفره إنه كان تواباً، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَنِعْمَ تُرجُمان القرآن ابن عباس، لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد، أي ما كان نظيراً له، هذا مع أن ابن عباس عاش بعده ستًّا وثلاثين سنة، فما ظنك بما اكتسب بعده من العلم

وقال ابن عمر لسائل سأله عن آية: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه أعلم من بقي بما أُنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال عطاء: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس فقهاً وأعظم خشية، إنَّ أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشِّعر عنده، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع.

وقال أبو وائل: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم (أي والٍ على موسم الحج من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول ما رأيت، ولا سمعت كلام رجلٍ مثله، ولو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت، ولَّاه عثمان على موسم الحج سنة خمس وثلاثين وولاه علي على البصرة فلمَّا قتل مضى إلى الحجاز، فأقام في مكة، ثم خرج منها إلى الطائف فمات فيها سنة ثمانٍ وستين عن إحدى وسبعين سنة.

المشتهرون بالتفسير من التابعين

اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون فمنهم:

أ) أهل مكة وهم أتباع ابن عباس كمجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح

ب) أهل المدينة وهم أتباع أُبي بن كعب، كزيد بن أسلم وأَبي العالية ومحمد بن كعب القرظي

جـ) أهل الكوفة وهم أتباع ابن مسعود، كقتادة وعلقمة والشعبي.

وهذه ترجمة لحياة اثنين من هؤلاء: مجاهد وقتادة

١- مجاهد:

هو مجاهد بن جبر المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وأخذ تفسير القرآن عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، روى ابن إسحاق عنه أنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أُوقفه عند كل آية وأسأله عنها، وكان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، واعتمد تفسيره الشافعي والبخاري وكان كثيراً ما ينقل عنه في «صحيحه»، وقال الذهبي في آخر ترجمته: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به، توفي في مكة وهو ساجد سنة أربع ومئة، عن ثلاث وثمانين سنة

٢- قتادة:

هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ولد أكمه أي أعمى سنة إحدى وستين، وَجَدَّ في طلب العلم، وكان له حافظة قوية حتى قال عن نفسه: ما قلت لمحدث قط أَعد لي، وما سمعت أُذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي، وذكره الإِمام أحمد فأطنب في ذكره فجعل

ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه، وقال: قلَّما تجد من يتقدمه أما المِثْل فلعل، وقال: هو أَحفظُ أَهل البصرة، لم يسمع شيئاً إلا حفظه، وتوفي في واسط سنة سبع عشرة ومئة، عن ست وخمسين سنة.

الأسئلة

س١: من هم المشتهرون بالتفسير من الصحابة؟ تكلم عن واحد منهم؟

س٢: من هم المشتهرون بالتفسير من التابعين؟ تكلم عن واحد منهم؟

التعريف ببعض كتب التفسير

تفسير جامع البيان في تفسير القرآن

وهو المعروف بتفسير الطبري، مؤلفه محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠ هـ هو إمام من أئمة أهل السنة والجماعة مؤرخ ومفسر قال النووي ((لم يصنف أحد مثله))

تفسير القرآن العظيم لابن كثير

هو عماد الدين أبي الفداء بن كثير القرشي توفي عام ٧٧٤ هـ ويعد تفسيره من أشهر ما دون في موضوع التفسير بالمأثور، اختار في تفسيره طريقة التفسير بالرواية وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية، والأحاديث والأثار المسندة، إلى أصحابها وأقوال الصحابة.

تفسير الجامع لأحكام القرآن

من الكتب الجامعة لتفسير القرآن الكريم كاملا الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان، مؤلفه أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المتوفى عام ٦٧١ هـ يعد من أهم الكتب التي اهتمت بالأحكام.

تفسير المحرر الوجيز

تفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي المتوفى عام ٥٤٦ هـ كتاب جامع وجيز محرر، ذكر فيه أقوال العلماء في معاني القرآن، منسوبة إليهم، على ما تلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم.

تفسير البغوي

مصنفه الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، المتوفى عام ٥١٦ وهو من التفاسير المسندة، سهل العبارة واضح المعاني، ينقل فيها الأقوال مسندة إلى الصحابة والعلماء.

القرآن الكريم

القرآن في اللغة: مصدر قرأ بمعني تلا، أو بمعني جمع، تقول قرأ قرءاً وقرآناً، كما تقول: غفر غَفْراً وغُفراناً، فعلى المعني الأول (تلا) يكون مصدراً بمعني اسم المفعول؛ أي بمعني متلوّ، وعلى المعنى الثاني: (جَمَعَ) يكون مصدراً بمعنى اسم الفاعل؛ أي بمعنى جامع لجمعه الأخبار والأحكام (١).

والقرآن في الشرع: كلام الله تعالى المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ٢٣﴾ [الإنسان]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢﴾ [يوسف].

وقد حمى الله تعالى هذا القرآن العظيم من التغيير والزيادة والنقص والتبديل، حيث تكفل عَزَّوَجَلَّ بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر].

ولذلك مضت القرون الكثيرة ولم يحاول أحد من أعدائه أن يغير فيه، أو يزيد، أو ينقص، أو يبدل، إلا هتك الله ستره، وفضح أمره.

وقد وصفه الله تعالى بأوصاف كثيرة، تدل على عظمته وبركته وتأثيره وشموله، وأنه حاكم على ما قبله من الكتب.

(١) ويمكن أن يكون بمعني اسم المفعول أيضاً، أي بمعني مجموع ؛لأنه جُمع في المصاحف والصدور.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر]. ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص]، ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام]، ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الواقعة]. ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]. وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر].

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]. ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان]. وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل].

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨].

والقرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامية التي بُعث بها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كافة الناس، قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان].

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ [إبراهيم].

وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصدر تشريع أيضاً كما قرره القرآن، قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء]. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب]. ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر]. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران].

١- نزول القرآن:

نزل القرآن أول ما نزل على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة القدر في رمضان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر]. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٣﴾ [الدخان]. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وكان عمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما نزل عليه القرآن أربعين سنة على المشهور عند أهل العلم، وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعطاء وسعيد بن المسيِّب وغيرهم. وهذه السِّن هي التي يكون بها بلوغ الرشد وكمال العقل وتمام الإدراك.

والذي نَزَّل القرآن من عند الله تعالى إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جبريل أحد الملائكة المقربين الكرام، قال الله تعالى عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ

﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء].

وقد كان لجبريل عليه السلام من الصفات الحميدة العظيمة، من الكرم والقوة والقرب من الله تعالى والمكانة والاحترام بين الملائكة والأمانة والحسن والطهارة؛ ما جعله أهلاً لأن يكون رسول الله تعالى بوحيه إلى رسوله قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١﴾ [التكوير] وقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ٧﴾ [النجم] وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ١٠٢﴾ [النحل].

٢- أول ما نزل من القرآن:

أول ما نزل القرآن على وجه الإطلاق قطعاً الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وهي قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ [العلق].

ثم فتر الوحي مدة، ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥﴾ [المدثر].

ففي «الصحيحين»: [البخاري (حديث رقم ٣) ومسلم (حديث رقم ٤٠٣)] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- في بدء الوحي قالت: حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أنا بقارئ (يعني لست أعرف القراءة) فذكر الحديث، وفيه ثم

قال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① ﴾ [العلق] إلى قوله: ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾ [العلق].

وفيهما، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال وهو يحدث عن فترة الوحي: (بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء...) فذكر الحديث، وفيه، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② ﴾ [المدثر] إلى ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ ﴾ [المدثر]. [البخاري (حديث رقم ٤) ومسلم (حديث رقم ٤٠٦)].

وثمت آيات يقال فيها: أول ما نزل، والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين، فتكون أولية مقيدة مثل: حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيحين» [البخاري (حديث رقم ٤٩٢٤) ومسلم (حديث رقم ٤٠٩)]. إن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأله: أي القرآن أنزل أول؟ قال جابر: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① ﴾ [المدثر].

قال أبو سلمة: أنبئت أنه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① ﴾ [العلق].

فقال جابر: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت...» فذكر الحديث وفيه: «فأتيت خديجة فقلت: دثروني، وصبوا علي ماء بارداً، وأنزل علي: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① ﴾ [المدثر] إلى قوله ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ ﴾ [المدثر].».

فهذه الأولية التي ذكرها جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باعتبار أول ما نزل بعد فترة الوحي، أو أول ما نزل في شأن الرسالة؛ لأن ما نزل من سورة اقرأ ثبتت نبوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما نزل من سورة المدثر ثبتت به الرسالة في قوله: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ② ﴾ [المدثر].

ولهذا قال أهل العلم: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبئ ب(اقْرَأْ) وأرسل بـ (الْمُدَّثِّرُ)

٣- نزول القرآن ابتدائي وسببي:

ينقسم نزول القرآن إلى قسمين:

الأول ابتدائي: وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه، وهو غالب آيات القران، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [التوبة].الآيات، فإنها نزلت ابتداء في بيان حال بعض المنافقين، وأما ما اشتهر من أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب في قصة طويلة، ذكرها كثير من المفسرين، وروجها كثير من الوعاظ، فضعيف لا صحة له.

القسم الثاني: سببي: وهو ما تقدم نزوله سبب يقتضيه.

والسبب:

أ) إما سؤال يجيب الله عنه مثل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٨٩].

ب) أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيان وتحذير مثل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦٥].

الآيتان نزلتا في رجل من المنافقين قال في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزل القرآن فجاء الرجل يعتذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجيبه: ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ التوبة: [٦٥]، ذكر هذه الحادثة ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٦٨).

ج) أو فعل واقع يحتاج إلى معرفة حكمه مثل:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ﴾[المجادلة].

فوائد معرفة أسباب النزول:

معرفة أسباب النزول مهمة جدا، لأنها تؤدي إلى فوائد كثيرة منها:

١- بيان أن القران نزل من الله تعالى.

وذلك لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل عن الشيء، فيتوقف عن الجواب أحيانا، حتى ينزل عليه الوحي، أو يخفى عليه الأمر الواقع، فينزل الوحي مبينا له. مثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥ ﴾ [الإسراء].

ففي صحيح البخاري (**حديث رقم ١٢٥**) ومسلم (**حديث رقم ٢٧٩٤**) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً من اليهود قال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، وفي لفظ: فأمسك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥ ﴾ [الإسراء].الآية.

مثال الثاني قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون::٨].

وفي صحيح البخاري (**حديث رقم ٤٩٠٠**) ومسلم (**حديث رقم ٣٦٧**) أن زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سمع عبد الله بن أُبيّ رأس المنافقين يقول ذلك، يريد أنه الأعز ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الأذل، فأخبر زيد عمه بذلك، فأخبر به النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيدا فأخبره بما سمع ثم أرسل إلى عبد الله بن أُبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنزل الله تصديق زيد في هذه الآية؛ فاستبان الأمرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- بيان عناية الله تعالى برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدفاع عنه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلًا ٣٢ ﴾ [الفرقان].

وكذلك آيات الإفك؛ فإنها دفاع عن فراش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتطهير له عن ما دنسه به الأفاكون.

٣- بيان عناية الله تعالى بعباده في تفريج كرباتهم وإزالة غموضهم.

مثال ذلك آية التيمم، ففي صحيح البخاري (**حديث رقم ٣٣٤**) ومسلم (**حديث رقم ٣٦٧**): أنه ضاع عقد لعائشة رضي الله عنها، وهي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره فأقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطلبه، وأقام الناس على غير ماء، فشكوا ذلك إلى أبي بكر، فذكر الحديث وفيه: فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. والحديث في البخاري مطولاً.

٤- فهم الآية على الوجه الصحيح.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ البقرة: [١٥٨]، أي يسعى بينهما، فإن ظاهر قوله: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ ﴾ البقرة: [١٥٨]. أن غاية أمر السعي بينهما، أن يكون من قسم المباح، وفي صحيح البخاري (**حديث رقم ١٦٤٨**) ومسلم (**حديث رقم ١٢٧٨**) عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الصفا والمروة، قال: كنا

نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]إلى قوله: ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

وبهذا عرف أن نفي الجناح ليس المراد به بيان أصل السعي، وإنما المراد نفي تحرجهم بإمساكهم عنه، حيث كانوا يرون أنهما من أمر الجاهلية، أما أصل حكم السعي فقد تبين بقوله:﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

عموم اللفظ وخصوص السبب

إذا نزلت الآية لسبب خاص، ولفظها عام كان حكمها شاملا لسببها، ولكل ما يتناوله لفظها، لأن القرآن نزل تشريعا عاما لجميع الأمة فكانت العبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه.

مثال ذلك: آيات اللعان، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النور: ٦]، إلى قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ [النور].

ففي صحيح البخاري (**حديث رقم ٢٦٧١**) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: البينة أو حد في ظهرك، فقال هلال والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئُ ظهري من الحد، فنزل جبريل، وأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ النور: [٦].

فقرأ حتى بلغ ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ النور: [٩]..... الحديث.

فهذه الآيات نزلت بسبب قذف هلال بن أمية لامرأته، لكن حكمها شامل له ولغيره، بدليل ما رواه البخاري من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن عويمراً العجلاني جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك. فأمرهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه، فلاعنها... الحديث. **البخاري (حديث رقم ٤٢٣) ومسلم (حديث رقم ١٤٩٢).**

فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكم هذه الآيات شاملاً لهلال بن أمية وغيره.

المكي والمدني

نزل القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفرقا في خلال ثلاث وعشرين سنة، قضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثرها بمكة، قال الله تعالى ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ الإسراء: [١٠٦].

ولذلك قسم العلماء رحمهم الله تعالى القرآن إلى قسمين: مكي ومدني:

فالمكي: ما نزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل هجرته إلى المدينة.

والمدني: ما نزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هجرته إلى المدينة.

وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] من القسم المدني وإن كانت قد نزلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع بعرفة، ففي الصحيح، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نزلت وهو قائم بعرفة يوم جمعة» [البخاري (حديث رقم ٤٥) ومسلم (حديث رقم ٣٠١٥)].

ويتميز القسم المكي عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع:

أ) أما من حيث الأسلوب فهو:

١- الغالب في المكي قوة الأسلوب، وشدة الخطاب؛ لأن غالب المخاطبين معرضون مستكبرون، ولا يليق بهم إلا ذلك، اقرأ سورتي المدثر، والقمر.

أما المدني: فالغالب في أسلوبه اللين، وسهولة الخطاب، لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون، اقرأ سورة المائدة.

٢- الغالب في المكي قصر الآيات، وقوة المحاجة، لأن غالب المخاطبين معادون مشاقون، فخوطبوا بما تقتضيه حالهم، اقرأ سورة الطور.

أما المدني: فالغالب فيه طول الآيات، وذكر الأحكام، مرسلة من دون محاجة، لأن حالهم تقتضي ذلك، اقرأ آية الدين في سورة البقرة.

ب) وأما من حيث الموضوع فهو:

١- الغالب في المكي تقرير التوحيد والعقيدة السليمة، خصوصا ما يتعلق بتوحيد الألوهية والإيمان بالبعث، لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك.

٢- أما المدني: فالغالب فيه تفصيل العبادات والمعاملات، لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التوحيد والعقيدة السليمة، فهم في حاجة لتفصيل العبادات والمعاملات.

٣- الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه والمنافقين وأحوالهم في القسم المدني لاقتضاء الحال ذلك، حيث شرع الجهاد، وظهر النفاق بخلاف القسم المكي.

فوائد
(معرفة المدني والمكي)

معرفة المكي والمدني نوع من أنواع علوم القرآن المهمة، وذلك أن فيها فوائد منها:

١- ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه حالهم من قوة وشدة، أو لين وسهولة.

٢- ظهور حكمة التشريع في أسمى غاياته حيث يتدرج شيئا فشيئا بحسب الأهم على ما تقتضيه حال المخاطبين واستعدادهم للقبول والتنفيذ.

٣- تربية الدعاة إلى الله تعالى، وتوجيههم إلى أن يتبعوا ما سلكه القرآن في الأسلوب والموضوع، من حيث المخاطبون، بحيث يبدأ بالأهم فالأهم، وتستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها.

٤- تمييز الناسخ من المنسوخ فيما لو وردت آيتان مكية ومدنية، يتحقق فيهما شروط النسخ، فإن المدنية ناسخة للمكية، لتأخر المدنية عنها.

الحكمة
من نزول القرآن الكريم منجماً (مفرقاً)

من تقسيم القرآن إلى مكي ومدني، يتبين أنه نزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفرقا. ولنزوله على هذا الوجه حكم كثيرة منها:

١- تثبيت قلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان].

٢- أن يسهل على الناس حفظه وفهمه والعمل به، حيث يقرأ عليهم شيئا فشيئا، لقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦].

٣- تنشيط الهمم لقبول ما نزل من القرآن وتنفيذه، حيث يتشوق الناس بلهف وشوق إلى نزول الآية، ولا سيما عند اشتداد الحاجة إليها كما في آيات الإفك واللعان.

٥- التدرج في التشريع حتى يصل إلى درجة الكمال، كما في آيات الخمر الذي نشأ الناس عليه وألفوه، وكان من الصعب عليهم أن يجابهوا بالمنع منه منعا باتا، فنزل في شأنه أولا قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، فكان في هذه الآية تهيئة للنفوس لقبول تحريمه حيث إن العقل يقتضي أن لا يمارس شيئا إثمه أكبر من نفعه. ثم نزل ثانياً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]. فكان في هذه الآية تمرين على تركه في بعض

الأوقات وهي أوقات الصلوات، ثم نزل ثالثاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة]، فكان في هذه الآيات المنع من الخمر منعا باتا في جميع الأوقات، بعد أن هُيِّئَت النفوس، ثم مُرِّنت على المنع منه في بعض الأوقات.

ترتيب القرآن

ترتيب القرآن: تلاوته تاليا بعضه بعضا حسبما هو مكتوب في المصاحف ومحفوظ في الصدور.

وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ترتيب الكلمات بحيث تكون كل كلمة في موضعها من الآية، وهذا ثابت بالنص والإجماع، ولا نعلم مخالفا في وجوبه وتحريم مخالفته، فلا يجوز أن يقرأ: الله الحمد رب العالمين بدلا من ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة].

النوع الثاني: ترتيب الآيات بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة، وهذا ثابت بالنص والإجماع، وهو واجب على القول الراجح، وتحرم مخالفته ولا يجوز أن يقرأ: مالك يوم الدين الرحمن الرحيم بدلا من: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة].

ففي صحيح البخاري (**حديث رقم ٤٥٣٠**) أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان بن عفان رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

قد نسختها الآية الأخرى يعني قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وهذه قبلها في التلاوة قال: فلم تكتبها؟ فقال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه.

وروي الإمام أحمد (**حديث رقم ٣٩٩**) وأبو داود (**حديث رقم ٧٨٦**) والنسائي (**حديث رقم ٨٠٠٧**) والترمذي (**حديث رقم ٣٠٨٦**) من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء، دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.

النوع الثالث: ترتيب السور بحيث تكون كل سورة في موضعها من المصحف، وهذا ثابت بالاجتهاد فلا يكون واجبا وفي صحيح مسلم (**حديث رقم ٧٧٢**) عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه صلى مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة، فقرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، وروى البخاري تعليقاً عن الأحنف: أنه قرأ في الأولى بالكهف، وفي الثانية بيوسف أو يونس، وذكر أنه صلى مع عمر بن الخطاب الصبح بهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تجوز قراءة هذه قبل هذه، وكذا في الكتابة. ولهذا تنوعت مصاحف الصحابة رضي الله عنهم في كتابتها، لكن لما اتفقوا على المصحف في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صار هذا مما سَنَّهُ الخلفاء الراشدون، وقد دل الحديث على أن لهم سنة يجب اتِّباعها» اهـ. [**الفروع ١/١٣٦٩**].

كتابة القرآن وجمعه

لكتابة القرآن وجمعه ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان الاعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر من الاعتماد على الكتابة، لقوة الذاكرة وسرعة الحفظ وقلة الكاتبين ووسائل الكتابة، ولذلك لم يجمع في مصحف بل كان من سمع آية حفظها، أو كتبها فيما تيسر له من عسب النخل، ورقاع الجلود، ولخاف الحجارة، وكسر الأكتاف وكان القراء عددا كبيرا.

ففي صحيح البخاري (**حديث رقم ٣٠٦٤**) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث سبعين رجلا يقال لهم: القرَّاء، فعرض لهم حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بئر معونة فقتلوهم، وفي الصحابة غيرهم كثير كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي خذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء رضي الله عنهم.

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السنة الثانية عشرة من الهجرة. وسببه أنه قتل في وقعة اليمامة عدد كبير من القراء منهم، سالم مولى أبي حذيفة، أحد ممن أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأخذ القرآن منهم.

فأمر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجمعه لئلا يضيع، ففي صحيح البخاري" أن عمر بن الخطاب أشار على أبي بكر رضي الله عنهما بجمع القرآن بعد وقعة اليمامة، فتوقف تورعا، فلم يزل عمر يراجعه حتى شرح الله صدر أبي بكر لذلك، فأرسل إلى زيد بن ثابت فأتاه، وعنده عمر فقال له أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتتبع القرآن فاجمعه، قال: فتتبعت القرآن أجمعه

من العسب واللخاف وصدور الرجال، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما. **رواه البخاري مطولاً**.

وقد وافق المسلمون أبا بكر على ذلك وعدوه من حسناته، حتى قال علي رضي الله عنه: أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله.

المرحلة الثالثة: في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في السنة الخامسة والعشرين، وسببه اختلاف الناس في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي في أيدي الصحابة رضي الله عنهم فخيفت الفتنة، فأمر عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن تجمع هذه الصحف في مصحف واحد؛ لئلا يختلف الناس، فيتنازعوا في كتاب الله تعالى ويتفرقوا.

ففي صحيح البخاري (**حديث رقم ٤٩٨٧**) أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان من فتح أرمينية وأذربيجان، وقد أفزعه اختلافهم في القراءة، فقال: أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة، ففعلت، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وكان زيد بن ثابت أنصاريا والثلاثة قرشيين – وقال عثمان للرهط الثلاثة القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

وقد فعل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هذا بعد أن استشار الصحابة رضي الله عنهم، لما روى ابن أبي داود عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: والله ما فعل في المصاحف إلا عن ملإٍ منَّا، قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا، فنعم ما رأيت.

وقال مصعب بن سعد: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد، وهو من حسنات أمير المؤمنين عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ التي وافقه المسلمون عليها، وكانت مكملة لجمع خليفة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **أخرجه (ابن أبي داود).**

والفرق بين جمعه وجمع أبي بكر رضي الله عنهما أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر الله عنه تقييد القرآن كله مجموعا في مصحف، حتى لا يضيع منه شيء دون أن يحمل الناس على الاجتماع على مصحف واحد؛ وذلك أنه لم يظهر أثر لاختلاف قراءاتهم يدعو إلى حملهم على الاجتماع على مصحف واحد.

وأمَّا الغرض من جمعه في عهد عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فهو تقييد القرآن كله مجموعا في مصحف واحد، يحمل الناس على الاجتماع عليه لظهور الأثر المخيف باختلاف القراءات.

وقد ظهرت نتائج هذا الجمع حيث حصلت به المصلحة العظمى للمسلمين من اجتماع الأمة، واتفاق الكلمة، وحلول الألفة، واندفعت به مفسدة كبرى من تفرق الأمة، واختلاف الكلمة، وتفشي البغضاء، والعداوة.

وقد بقي على ما كان عليه حتى الآن متفقا عليه بين المسلمين متواترا بينهم، يتلقاه الصغير عن الكبير، لم تعبث به أيدي المفسدين، ولم تطمسه أهواء الزائغين. فلله الحمد لله رب السماوات ورب الأرض رب العالمين.

الأسئلة

س١ : قد وصف الله القرآن بأوصاف كثيرة، اذكر بعضا من الآيات الدالة على هذه الأوصاف.

س٢ : ما هما مصدرا التشريع في الإسلام؟

س٣: متى بدأ نزول القرآن؟ استدل لذلك.

س٤ : ينقسم نزول القرآن إلى قسمين، اذكرهما مع التوضيح.

س٥ : ما فوائد معرفة أسباب النزول؟

س٦ : ما فوائد معرفة المكي والمدني؟

س٧: ما الحكمة من نزول القرآن منجما؟

س٨: اذكر أنواع ترتيب القرآن.

س٩: وضح بشيء من الاختصار مراحل جمع القرآن؟

سورة الفاتحة
(مكية)

ذكر بعض أهل العلم أن وجه تسميتها بهذا الاسم أنه أول ما يفتتح بها قراءة القرآن لفظا وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطا وتفتتح بها الصلوات واختار هذا القول الطبري والقرطبي والبغوي.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ② ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ③
مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ⑤
ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ⑥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ
غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ⑦﴾

من مقاصد هذه السورة:

هذه السورة على إيجازها، قد تضمنت مقاصد عظيمة فمن مقاصدها:

١- بيان أنواع التوحيد الثلاثة.

٢- إثبات النبوة في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة.

٣- وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وأن الجزاء يكون بالعدل؛ لأن الدين معناه الجزاء بالعدل.

٤- وإثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة، خلافا للقدرية والجبرية.

٥-الرد على جميع أهل البدع والضلال، في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ لأنه معرفة الحق والعمل به، وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.

٦- إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾

المعنى الإجمالي

﴿بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ " اسم " مفرد مضاف، فيعم جميع أسماء الله الحسنى؛ فيكون العبد مستعينا بربه، وبكل اسم من أسمائه على ما يناسبه من المطالب، وأجل ما يستعان به على عبادة الله.

﴿الله﴾ هو المألوه المستحق لإفراده بالمحبة والخوف والرجاء وأنواع العبادة كلها، لما اتصف به من صفات الكمال.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله؛ فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية.

﴿الْحَمْدُ لله﴾ الحمد هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، المشتملة على الحكمة التامة.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب هو المربي جميع العالمين بكل أنواع التربية، فهو الذي خلقهم ورزقهم وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، وهذه التربية العامة لجميع الخلق، برهم وفاجرهم، بل المكلفون منهم وغيرهم.

وأما التربية الخاصة لأنبيائه وأوليائه، فإنه مع ذلك يربي إيمانهم فيكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق التي تحول بينهم وبين صلاحهم وسعادتهم الأبدية، وتيسيرهم لليسرى وحفظهم من جميع المكاره.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ المالك هو من اتصف بالصفات العظيمة الكاملة التي يتحقق بها الملك، التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف في العالم العلوي والسفلي التصرف التام المطلق بالأحكام القدرية والأحكام الشرعية، وأحكام الجزاء.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصك يا ربنا وحدك بالعبادة والاستعانة، فلا نعبد غيرك، ولا نستعين بسواك؛ **فالعبادة** اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال، الظاهرة والباطنة.

والاستعانة هي الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به في حصول ذلك.

وعلم بذلك شدة افتقار العبد لعبادة الله والاستعانة به.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْـمُسْتَقِيمَ﴾ أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا للعلم بالحق والعمل به، الذي هو الصراط المستقيم، المعتدل الموصل إلى الله وإلى جنته وكرامته، وهذا يشمل الهداية إلى الصراط، وهي التوفيق للزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان الباطلة، ويشمل الهداية في الصراط وقت سلوكه علما وعملا؛ فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا أوجبه الله ويسره، وهذا الصراط هو طريق و﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالنعمة التامة المتصلة بالسعادة الأبدية، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الذين ضلوا عن الحق كالنصارى ونحوهم.

ما يستفاد من الآيات:

١- يسن لقارئ القرآن أن يقول عند ابتداء قراءته: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كما يستحب لمن غضب، أو خطر بباله خاطر سوء أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

٢- البسملة مشروعة عند البدء في قراءة كل سورة من كتاب الله تعالى، إلا عند قراءة سورة التوبة، فإنه لا يبسمل، كما يشرع للعبد أن يقول: بسم الله عند الأكل والشرب والذبح، ولبس الثوب، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند الركوب، وعند كل أمر ذي بال.

٣- الإنسان مهما أوتي من حصافة الرأي وحسن التدبير وتقليب الأمور على وجوهها، لا يستغني عن العون الإلهي.

٤- أرشدنا الله إلى طلب الهداية منه بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، ليكون عونا لنا ينصرنا على أهوائنا وشهواتنا بعد أن نبذل ما نستطيع من الجهد في أحكام الشريعة، ونكلف أنفسنا الجري على سننها؛ لنحصل على خيري الدنيا والآخرة.

٥- المسلم عندما يحدق به البلاء أو يصاب بأزمة نفسية حادة ويسد باب الفرج في وجهه؛ يهرع للصلاة ويدع ربه فيها بقراءة الفاتحة وآيات أخر فتطمئن نفسه عند مواجهة الأهوال.

٦- نسب سبحانه النعمة إليه فقال: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ولم ينسب إليه الإضلال، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ لأن الخير من الله وهو الذي يدل عليه، والشر من نفس العبد، لأنها عرفت الخير فلم تتبعه.

الوسطية سمة من سمات الشخصية الإسلامية، فليس في الإسلام غلو ولا تفريط، ونحن ندعو الله تعالى في صلاتنا – كما في سورة الفاتحة – كل يوم أن يجنبنا طريق

المغضوب عليهم وهم اليهود الذين فرطوا وضيعوا، والضالين وهم النصارى الذين شددوا وغلوا، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣].

كلمة (آمين) ليست من الفاتحة، ويستحب أن يقولها الإمام إذا قرأ الفاتحة يمد بها صوته ويقولها المأموم، والمنفرد كذلك، لقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه البخاري (حديث رقم ٧٨٠) و مسلم (حديث رقم ٩٤٢)، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين. وهي بمعنى: اللهم استجب دعاءنا، ويستحب الجهر بها.

٧- تسمى سورة الفاتحة أم الكتاب، وتسمى السبع المثاني، ولها أسماء كثيرة كل اسم من أسمائها يدل على معنى. (ذكر القرطبي للفاتحة اثنى عشر اسما، **الجامع لأحكام القرآن** ١/ ١١١، وذكر السيوطي في **الإتقان** خمسة وعشرين اسما للفاتحة ٥٢/١).

الأسئلة

س١ : اذكر أربعة مواضع يشرع فيها ذكر البسملة؟

س٢: فسـر قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

س٣: ما الميزة التي ميز الله بها الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم؟

س٤ : كلمة (أمين) ليست من الفاتحة، فما معناها؟ واذكر بعض الأحكام المتعلقة بها.

سورة الناس
(مكية)

سميت سورة الناس بهذا الاسم لافتتاحها بقوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- إرشاد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن يتعوذ بالله ربه من شر الوسواس الذي يحاول إفساد عمل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإفساد إرشاده الناس ويلقي في نفوس الناس الإعراض عن دعوته.

٢- وفي هذا الأمر إيماء إلى أن الله تعالى معيذه من ذلك فعاصمه في نفسه من تسلط وسوسة الوسواس عليه، ومتمم دعوته حتى تعم في الناس.

٣- ويتبع ذلك تعليم المسلمين التعوذ بذلك.

المعنى الإجمالي للسورة:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وهو الله عَزَّوَجَلَّ، وهو رب الناس وغيرهم، رب كل شيء، لكن للمناسبة خص الناس.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي الملك الذي له السلطة العليا في الناس، والتصرف الكامل هو الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ أي مألوههم ومعبودهم، فالمعبود حقًّا الذي تأله القلوب وتحبه وتعظمه هو الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾

الوسوسة هي: ما يلقى في القلب من الأفكار والأوهام والتخيلات التي لا حقيقة لها.

﴿الخناس﴾ الذي يخنس وينهزم ويولي ويدبر عند ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وهو الشيطان.

﴿من الجنة والناس﴾ أي أن الوساوس تكون من الجن، وتكون من بني آدم.

ما يستفاد من الآيات:

١- يستعيذ المؤمن بالله وحده ـ وهو رب الناس ومالكهم ومعبودهم ـ من شياطين الإنس والجن.

٢- اشتملت السورة على إثبات صفات الربوبية والملك والألوهية لله تعالى.

٣- أعظم ما تزول به الشياطين ذكر الله سبحانه وتعالى.

٤- بيان خطر الشيطان ووسوسته المستمرة في تزيين الشر وإغواء بني آدم.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما الشر الخطير الذي أمرنا الله تعالى بالاستعاذة منه في هذه السورة؟

س٣: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من السورة؟

سورة الفلق

(مكية)

سميت سورة الفلق بهذا الاسم لافتتاحها بقوله تعالى ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢
وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ
فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾

من مقاصد هذه السورة:

والمقصد الذي اشتملت عليه هذه السورة تعليم النبيصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كلمات للتعوذ بالله من شر ما يتقى شره من المخلوقات الشريرة، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر، والأحوال التي يستتر أفعال الشر من ورائها لئلا يرمى فاعلوها بتبعاتها، فعلَّم الله نبيئه هذه المعوذة ليتعوذ بها.

سبب نزول السورة:

جاء في الصحيحين أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سُحِر حتى كان يُخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم قال: (يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني ملكان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليَّ، قال الذي عند رأسي للذي عند رجليَّ: ما شأن الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في ماذا؟ قال: في مشطٍ ومُشاطةٍ، في جُفّ طلعةٍ ذكرٍ، تحت راعوفةٍ في بئر ذروان، فجاء البئر واستخرجه).

فضل السورة:

روى الإمام مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾.

المعنى الإجمالي للسورة:

﴿ قُلْ ﴾ أي: متعوّذًا ﴿ أَعُوذُ ﴾ أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح.

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها، من الشر الذي فيها، ثم خص بعد ما عم، فقال: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية.

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾ أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعِنَّ على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عمومًا وخصوصًا.

ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ﴿ومن أهله﴾.

ما يستفاد من الآيــات:

١- المسلم يلتجأ إلى الله ويلوذ به وحده لحمايته من جميع شرور خلقه.

٢- تحريم السحر وهو من السبع الموبقات.

٣- تحريم الذهاب للسحرة والكهّان، لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أتى كاهناً أو عرّافاً لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة).

٥- تحريم الحسد وهو تمني زوال النعمة عن الغير.

الأسئلة

س١ : ما المقصد الذي اشتملت عليه هذه السورة؟

س٢ : ما سبب نزول السورة؟

س٣: اذكر حديثاً في فضل سورة الفلق.

س٤ : ما تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾؟

س٥ : اذكر ثلاث فوائد تؤخذ من السورة.

سورة الإخلاص
(مكية)

سميت سورة الإخلاص بهذا الاسم لأنها تتناول الحديث عن إخلاص العبادة لله وتوحيده وتنزيهه عن كل نقص وشرك.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ
وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾

من مقاصد هذه السورة

١- إثبات وحدانية الله تعالى.

٢- أنه لا يقصد في الحوائج غيره وتنزيهه عن سمات المحدثات.

٣- إبطال أن يكون له ابن.

٤- إبطال أن يكون المولود إلها مثل عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

سبب نزول السورة:

نزلت جواباً لسؤال المشركين الذين قالوا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ انسب لنا ربك أو صفه لنا، فقال تعالى لرسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: قل أي لمن سألوك ذلك هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. [انظر صحيح سنن الترمذي (٣٣٦٢)].

فضل السورة:

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالُّها [١]، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثُلثَ القرآن».

المعنى الإجمالي للسورة:

﴿قُلْ﴾ الخطاب للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وللأمة أيضاً.

﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ أي: هو الله الذي تتحدثون عنه وتسألون عنه.

﴿أَحَدٌ﴾ أي: متوحد بجلاله وعظمته، ليس له مثيل، وليس له شريك، بل هو متفرد بالجلال والعظمة عَزَّوَجَلَّ.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، والذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها. فقد روي عن ابن عباس أن الصمد هو الكامل في علمه، الكامل في حلمه، الكامل في عزته، الكامل في قدرته، إلى آخر ما ذكر في الأثر.

وهذا يعني أنه مستغنٍ عن جميع المخلوقات لأنه كامل.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه عَزَّوَجَلَّ لا مثيل له، والولد مشتق من والده وجزء منه كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فاطمة: «فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي»، والله عَزَّوَجَلَّ لا مثيل له، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه إما في المعونة على مكابدة الدنيا، وإما في الحاجة إلى بقاء النسل. والله عَزَّوَجَلَّ مستغنٍ عن ذلك.

---

(١) يتقالُّها: يعدها شيئا قليلاً.

وقد أشار الله عَزَّوَجَلَّ إلى امتناع ولادته أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾[الأنعام].

فالولد يحتاج إلى صاحبة تلده، وكذلك هو خالق كل شيء، فإذا كان خالق كل شيء فكل شيء منفصل عنه بائن منه.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم وهم:

١ـ المشركون: لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، وقالوا: إن الملائكة بنات الله.

٢ـ اليهود: لأنهم قالوا: عزير ابن الله.

٣ـ النصارى: لأنهم قالوا: المسيح ابن الله.

فكذبهم الله بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ لأنه عَزَّوَجَلَّ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟!

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، أي لم يكن له أحد مساوياً في جميع صفاته، فنفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه: أن يكون والداً ـ أو مولوداً ـ أو له مثيل.

ما يستفاد من الآيـات:

١-إثبات صفات الكمال لله جل وعلا ونفي صفات النقص عنه.

٢-في السورة رد على الضالين الذين ينسبون له الولد سبحانه.

الأسئلة

س١ :   اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢ : ما المعنى الإجمالي للسورة؟

س٣: ما سبب نزول سورة الإخلاص؟

س٤ : ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من السورة؟

سورة المسد
(مكية)

سميت سورة المسد بهذا الاسم لذكر لفظ المسد في خاتمتها في قوله تعالى ﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾

من مقاصد هذه السورة:

والمقصد الذي اشتملت عليه هذه السورة زجر أبي لهب على قوله: «تبا لك ألهذا جمعتنا؟ ووعيده على ذلك، ووعيد امرأته على انتصارها لزوجها، وبغضها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سبب نزول السورة:

نزلت سورة المسد ردّاً على أبي لهب عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ صح أنه لما نزلت آية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

طلع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جبل الصفا ونادى: واصباحاه واصباحاه، فاجتمع الناس حوله فقال لهم: إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد: قولوا لا إله إلا الله كلمة تملكون

بها العرب وتدين لكم بها العجم، فنطق أبو لهب فقال: ألهذا جمعتنا تباً لك طول اليوم، فأنزل الله تعالى رداً عليه ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ....﴾.

المعنى الإجمالي للسورة:

أبو لهب هو عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان شديد العداوة والأذية للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا فيه دين، ولا حمية للقرابة قبحه الله فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة فقال: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أي: خسرت يداه، وشقي ﴿ وَتَبَّ ﴾ فلم يربح، ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ ﴾ الذي كان عنده وأطغاه، ولا ما كسبه فلم يرد عنه شيئًا من عذاب الله إذ نزل به، ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾.

وكانت أيضًا شديدة الأذية لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطبًا، قد أعد لها في عنقها حبلا ﴿ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ أي: من ليف.

أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلدة في عنقها حبلا من مسد، وعلى كلٍ ففي هذه السورة آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة.

ما يستفاد من الآيات:

١- في الآية الأولى الدعاء على أبي لهب بالهلاك والخسران في الدنيا والآخرة وفي قوله وتب تحقق هذا الدعاْء.

٢- المال والجاه والأولاد لن تغني عن المرء شيئا إذا كان مشركاً بالله صاداً عن سبيله.

٣- بيان صدق نبوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن القرآن وحيٌ منزل من الله تعالى وليس من تأليفه عليه الصلاة والسلام.

الأسئلة

س١ : ما المقصد الذي اشتملت عليه هذه السورة؟

س٢: ما هو سبب نزول السورة؟

س٣: ما وجه الإعجاز في سورة المسد؟

س٤: لـماذا دخلت امرأة أبي لهب معه في الخسران والعذاب؟

سورة النصر
(مدنية)

سميت سورة النصر بهذا الاسم لافتتاحها بذكر النصر وهو فتح مكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ٣﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- الوعد بنصر كامل من عند الله وبفتح مكة، والبشارة بدخول خلائق كثيرة في الإسلام.

٢- الإيماء إلى أنه حين يقع ذلك فقد اقترب انتقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الآخرة.

٣- وعده بأن الله غفر له مغفرة تامة.

المعنى الإجمالي للسورة:

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ أي نصر الله إياك على عدوك. الخطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النصر: هو تسليط الله الإنسان على عدوه بحيث يتمكن منه ويخذله ويكبته.

والنصر أعظم سرور يحصل للعبد في أعماله، لأن المنتصر يـجد نشوة عظيمة، وفرحاً وطرباً، لكنه إذا كان بحق فهو خير.

وقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «نُصِـرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»، أي: أن عدوه مرعوب منه إذا كان بينه وبينه مسافة شهر، والرعب أشد شيء يفتك بالعدو، لأن من حصل في قلبه الرعب لا يـمكن أن يثبت أبداً، بل سيطير طيران الريح.

﴿ وَٱلْفَـتْحُ ﴾ معطوف على النصر، وهو من باب عطف الخاص على العام، لأن الفتح من النصر تنويه، وعطفه للتنويه بشأنه، كـقوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ القدر: [٤]. فجبريل من الملائكة وخصه لشرفه.

﴿ وَٱلْفَـتْحُ ﴾ أي: الفتح الـمعهود الـمعروف في أذهانكم، وهو فتح مكـة.

فتح مكة

كان في رمضان من السنة الثامنة للهجرة، وسببه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لـما صالح قريشاً في الحديبية في السنة السادسة، نقضت قريش العهد فغزاهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخرج إليهم من الـمدينة بنحو عشرة آلاف مقاتل فلم يفاجأهم إلا وهو مـحيط بهم ودخل مكة في العشرين من رمضان، من السنة الثامنة للهجرة، مظفراً منصوراً مؤيداً.

ولـما حصل عرف الناس جميعاً أن العاقبة لـمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن دور قريش واتباعه قد انقضى فصار الناس ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ أي جماعات بعد أن كانوا يدخلون فيه أفراداً، ولا يدخل فيه الإنسان في بعض الأحوال إلا مـختفياً، صاروا يدخلون في دين الله أفواجاً، وصارت الوفود ترد على النبي عليه الصلاة والسلام في الـمدينة من كل جانب حتى سمي العام التاسع (عام الوفود).

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ إذا رأيت هذه العلامة ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ كان الـمتوقع أن يكون الجواب فاشكر الله على هذه النعمة واحمد الله عليها ولكن قال: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ فالـمعنى أنه إذا جاء نصر الله والفتح فقد قرب أجلك وما بقي عليك إلا التسبيح بـحمد ربك والاستغفار ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي سبحه تسبيحاً مقروناً بالحمد.

والتسبيح: تنزيه الله تعالى عما لا يليق بجلاله.

والحمد: هو الثناء عليه بالكمال مع الـمحبة والتعظيم.

اجمع بين التنزيه وبين الحمد ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ يعني اسأله المغفرة. فأمره الله تعالى بأمرين: الأول: التسبيح المقرون بالحمد.

الثاني: الاستغفار، وهو طلب المغفرة.

والمغفرة ستر الله تعالى على عبده ذنوبه مع محوها والتجاوز عنها. وهذا غاية ما يريد العبد، لأن العبد كثير الذنب يحتاج إلى مغفرة إن لم يتغمده الله برحمته هلك، ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**». قَالُوا وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ «**وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**».

لأن عملك هذا لو أردت أن تجعله في مقابلة نعمة من النعم، نعمة واحدة لأحاطت به النعم، فكيف يكون عوضاً تدخل به الجنة؟

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ أي: لم يزل الله تواباً على عباده، فإذا استغفرته تاب عليك.

السورة لها مغزى عظيم لا يتفطن له إلا الأذكياء، ولهذا لما سمع عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن الناس انتقدوه في كونه يُدني عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مع صغر سنه ولا يدني أمثاله من شباب المسلمين، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أعدل الخلفاء أراد أن يبين للناس أنه لم يحابِ ابن عباس في شيء، فجمع كبار المهاجرين والأنصار في يوم من الأيام ومعهم عبدالله بن عباس وقال لهم: ما تقولون في هذه السورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ حتى ختم السورة ففسروها بحسب ما يظهر فقط: فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري. ولم يقل بعضهم شيئاً. فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: يا أمير المؤمنين هو أجل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح

مكة فذاك علامة أجلك، ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾. فقال عمر: «والله ما أعلم منها إلا ما تعلم». فتبين بذلك فضل ابن عباس وتـميزه، وأن عنده من الذكاء والـمعرفة بـمراد الله عَزَّوَجَلَّ.

لـما نزلت هذه السورة جعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد عبادة لله مـما كان قبل نزولـها، ويكثر في ركوعه وسجوده أن يقول: «سبحانك اللهم ربنا وبـحمدك، اللهم اغفر لي».

ما يستفاد من الآيــات:

١- بيان فضيلة عبدالله بن عباس وفقهه وعلمه.

٢- في هذه السورة بشارة بنصر الله لرسوله وفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا.

٣- يأمر الله نبيه بالاستغفار وهو قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فغيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما تأويل ابن عباس رضي الله عنهما للسورة؟

س٣: ما المراد بالفتح في قوله ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾؟

س٤: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من السورة؟

سورة الكافرون
(مكية)

سميت سورة الكافرون بهذا الاسم لوقوع لفظ ﴿ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ في فاتحتها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢
وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤
وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾

من مقاصد هذه السورة:

والمقصد الذي اشتملت عليه هذه السورة هو تأييس الكفار من أن يوافقهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيء مما هم عليه من الكفر بالقول الفصل المؤكد في الحال والاستقبال وأن دين الإسلام لا يخالط شيئا من دين الشرك.

سبب نزول السورة:

الآيات الست الكريمات نزلت ردّاً على اقتراح تقدم به بعض المشركين وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن المطلب وأمية بن خلف مفاده أن يعبد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم آلهتهم سنة ويعبدون معه إلهه سنة مصالحة بينهم وبينه وإنهاء للخصومات في نظرهم، ولم يجبهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء حتى نزلت هذه السورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾.

المعنى الإجمالي للسورة:

هذه السورة هي إحدى سورتي الإخلاص، وهما سورتا ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقرأ بهما في سُنة الفجر وفي سنة المغرب، وفي ركعتي الطواف لما تضمنتاه من الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، والثناء عليه بالصفات الكاملة.

أمر الله تعالى نبيه، ثمّ أمته بقوله ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ يناديهم ويعلن لهم بالنداء، وهذا يشمل كل كافر سواء كان من المشركين، أو من اليهود، أو من النصارى، أو من الشيوعيين أو من غيرهم.

كل كافر يجب أن تناديه بقلبك أو بلسانك إن كان حاضراً لتتبرأ منه ومن عبادته.

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ أي: لا أعبد الذين تعبدونهم، وهم الأصنام.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ وهو الله. يعني: أنا لا أعبد أصنامكم وأنتم لا تعبدون الله.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾

قد يظن الظان أن هذه مكررة للتوكيد، وليس كذلك لأن الصيغة مختلفة:

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ فعل ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ «عابد» و«عابدون» اسم، والتوكيد لابد أن تكون الجملة الثانية كالأولى.

فائدة التكرار

في تكرار الآيتين أربعة أقوال، وهي:

الأول: إنها تفيد التوكيد. أي:

- أن قوله: ﴿وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ توكيد لقوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾.

- وقوله ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ الثاني توكيد للأول.

والثاني: إنها في المستقبل. قال بعض العلماء:

- ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ أي: الآن (في الحال) لأن الفعل المضارع يدل على الحال.

- ﴿وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ أي: في المستقبل، واسم الفاعل يدل على الاستقبال، بدليل أنه عمل، واسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان للاستقبال.

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ الآن. ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ يعني الآن.

﴿وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾: يعني في المستقبل ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ يعني في المستقبل.

ولكن كيف قال ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ مع أنهم قد يؤمنون فيعبدون الله؟!

والجواب أنّ الله يخاطب المشركين الذين عَلِم سبحانه أنهم لن يؤمنوا.

القول الثالث: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ أي: لا أعبد الأصنام التي تعبدونها.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ أي: لا تعبدون الله. ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ ۞ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ أي: في العبادة يعني ليست عبادتي كعبادتكم، ولا عبادتكم كعبادتي، فيكون هذا نفياً للفعل لا للمفعول به، يعني ليس نفيًا للمعبود. لكنَّه نفي للعبادة أي لا أعبد كعبادتكم، ولا تعبدون أنتم كعبادتي، لأن عبادتي خالصة لله، وعبادتكم عبادة شرك.

القول الرابع: واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

- أن قوله ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۞ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ هذا الفعل. فوافق القول الأول في هذه الجملة.

- ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ ۞ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ أي: في القبول، بمعنى ولن أقبل غير عبادتي، ولن أقبل عبادتكم، وأنتم كذلك لن تقبلوا.

فتكون الجملة الأولى عائدة على الفعل. والجملة الثانية عائدة على القبول والرضا، يعني لا أعبده ولا أرضاه، وأنتم كذلك لا تعبدون الله ولا ترضون بعبادته.

ومن هنا نأخذ أن القرآن الكريم ليس فيه شيء مكرر إلا وله فائدة.

لأننا لو قلنا: إن في القرآن شيئاً مكرراً من دون فائدة لكان في القرآن ما هو لغو، وهو منزه عن ذلك.

وعلى هذا فالتكرار في سورة الرحمن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وفي سورة المرسلات ﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ تكرار لفائدة عظيمة، وهي أن كل آية مما بين هذه الآية المكررة، تشتمل على نعم عظيمة، وآلاء جسيمة.

ثم إن فيها من الفائدة اللفظية التنبيه للمخاطب.

ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ الذي أنتم عليه وتدينون به.

﴿وَلِيَ دِينِ﴾ أي: ولي ديني، فأنا بريء من دينكم، وأنتم بريؤون من ديني.

ما يستفاد من الآيات:

١- تقرير عقيدة القضاء والقدر..

٢- ليس في القرآن شيء مكرر إلا وله فائدة.

٣- تأكيد الإخلاص في عبادة الله عَزَّوَجَلَّ.

٤- ثبات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصبره على الحق رغم ما عُرض عليه من قِبل المشركين.

الأسئلة

س١: ما المقصد الذي اشتملت عليه هذه السورة؟

س٢: ما المقترح الذي اقترحه كفار قريش على النبي عليه الصلاة والسلام؟

س٣: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾؟

س٤: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من السورة؟

سورة الكوثر
(مكية)

سميت سورة الكوثر بهذا الاسم لافتتاحها بذكر الكوثر قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- اشتملت على بشارة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

٢- أمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة.

٣- إنَّ انقطاع الولد الذكر ليس بتراً؛ لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان.

سبب نزول السورة:

عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت قريش: ألا ترى هذا الصنبور المنبتر من قومه؟ يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السقاية! قال: أنتم خير. قال فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ **انظر الصحيح المسند من أسباب النزول للعلامة المحدث مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صـ٢٧١.**

المعنى الإجمالي للسورة:

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس قال: بينما نحن عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثم قال أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال: فإنّه نَهرٌ وَعَدنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، عليه خَيرٌ كَثِير هُو حَوْضٌ تَرِد عَلَيْهِ أمّتي يَوْمَ القيامة آنِيَتُهُ عَددُ النُّجُوم، فيُخْتلَجُ العبدُ منهمْ فأقولُ إنَّهُ من أمّتي، فيقال إنك لا تَدْرِي ما أَحْدَثَ بَعْدَكَ"، وقد جاء في وصف الكوثر أن حافتيه من الذهب، ومجراه على الدر والياقوت، وتربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج، ومن الكوثر، يملأ الحوض الذي في عرصات القيامة ولا يرده إلا الصالحون من أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له ﴿الكوثر﴾ ومن الحوض.

طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا. ولما ذكر منَّته عليه أمره بشكرها فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ خص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات.

ولأن الصلاة تتضمن الخضوع ﴿في﴾ القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك وذامك ومنتقصك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر.

وأما محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو الكامل حقًا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار، والأتباع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ما يستفاد من الآيات:

١- لا يكتمل إيمان الإنسان وإسلامه إلا بالمحبة الصحيحة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- بيان صفة الكوثر فيما جاء من الأحاديث الصحيحة.

٣- التأكيد على الإِخلاص لله في جميع العبادات.

٤- بيان أن من بدّل وغيّر وخالف شرع الله تعالى وسنة نبيه فإنه يُطرد من حوضه عليه الصلاة والسلام، وأول من يدخل في ذلك هم أهل البدع

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما سبب نزول السورة؟

س٣: لماذا خص عبادة الصلاة والنحر في قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾؟

س٤: اذكر ما تعرفه عن وصف الكوثر.

سورة الماعون
(مكية)

وجه تسميتها وقوع لفظ الماعون في خاتمتها في قوله تعالى ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ وقد اختصت بهذا اللفظ فلم يقع في سورة أخرى من القرآن.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ
ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ
لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥
ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾

من مقاصد هذه السورة:

والمقصد الذي اشتملت عليه هذه السورة التعجيب من حال من كذّبوا بالبعث وتفظيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف واحتقاره والإمساك عن إطعام المسكين، والإعراض عن قواعد الإسلام من الصلاة والزكاة لأنه لا يخطر بباله أن يكون في فعله ذلك ما يجلب له غضب الله وعقابه.

المعنى الإجمالي للسورة:

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ كان الخطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ولكنه عام لكل من يتوجه إليه الخطاب.

﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: الذي يكذّب بالجزاء، وهم الذين ينكرون البعث ويقولون: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات]. ويقول القائل منهم: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[يس: ٧٨] ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ **فجمع بين أمرين:**

الأمر الأول: عدم الرحمة بالأيتام الذين هم محل الرحمة والشفقة؛ لأن قبل بلوغهم مات آباؤهم، فهم قلوبهم منكسرة يحتاجون إلى جابر. ولهذا وردت النصوص بفضل الإحسان إلى الأيتام.

لكن هذا ـ والعياذ بالله ـ ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف، لأن الدع هو الدفع بعنف كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

أي: دفعاً شديداً، فتجد اليتيم إذا جاء إليه يستجديه شيئاً، أو يكلمه في شيء يحتقره ويدفعه بشدة فلا يرحمه.

الأمر الثاني: لا يحثون على رحمة الغير ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾، فالرجل منهم لا يحض على إطعام المسكين الفقير المحتاج إلى الطعام لأن قلبه حجر قاسٍ، كالحجارة أو أشد قسوة.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

الويل: كلمة وعيد، تتكرر في القرآن كثيراً، والمعنى الوعيد الشديد على هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ هؤلاء مصلّون يصلّون مع الناس أو أفراداً لكنهم ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي:

- غافلون عنها، لا يقيمونها على ما ينبغي، يؤخرونها عن الوقت الفاضل.

- لا يقيمون ركوعها، ولا سجودها، ولا قيامها، ولا قعودها، لا يقرأون ما يجب فيها من قراءة سواء كانت قرآناً أو ذكراً.

- إذا دخل في صلاته وهو غافل، قلبه يتجول يميناً وشمالاً، فهو ساهٍ عن صلاته.

لا شك أن الذي يسهو عن الصلاة ويغفل عنها ويتهاون بها مذموم. أما الساهي في صلاته فهذا لا يُلام، والفرق بينهما أن الساهي في الصلاة معناه أنه نسي شيئاً، نسي عدد الركعات، نسي شيئًا من الواجبات وما أشبه ذلك. ولهذا وقع السهو من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أشد الناس إقبالاً على صلاته بل إنه قال عليه الصلاة والسلام: «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ»، ومع ذلك سهى في صلاته

لأن السهو في الشيء معناه أنه نسي شيئًا على وجه لا يلام عليه.

أما الساهي عن صلاته فهو متعمد للتهاون في صلاته، ومن السهو عن الصلاة أولئك القوم الذين يدعون للصلاة مع الجماعة، فإنهم لا شك عن صلاتهم ساهون فيدخلون في هذا الوعيد: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾.

أيضاً إذا فعلوا الطاعة فإنما يقصدون بها التزلف إلى الناس، وأن يكون لهم قيمة في المجتمع، ليس قصدهم التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

- فهذا المرائي يتصدق من أجل أن يقول الناس ما أكرمه !

- هذا المصلي يحسن صلاته من أجل أن يقول الناس ما أحسن صلاته وما أشبه ذلك !

أصل عبادتهم لله، لكن يريدون مع ذلك أن يحمدهم الناس عليها، ويتقربون إلى الناس بتقربهم إلى الله، هؤلاء هم المراؤون.

أما من يصلي لأجل الناس، مثل أن يصلي بين يدي الملك، فيخضع له ركوعاً، أو سجوداً فهذا مشرك كافر قد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

لكن هذا يصلي لله مع مراعاة أن يحمده الناس على عبادته، على أنه عابد لله عَزَّوَجَلَّ. وهذا يقع كثيراً في المنافقين. كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

هل الإنسان الذي يسمّع فيقرأ قرآنًا ويجهر بالقراءة ويحسن القراءة، ويحسن الأداء والصوت من أجل أن يقال ما أقرأه ! هل يكون مثل الذي يرائي؟

الجواب: نعم كما جاء في الحديث «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى الله بِهِ»، المعنى من سمّع الناس، أو يرائي الناس سوف يفضحه الله ويبين للناس أن الرجل ليس مخلصاً إن عاجلاً أم آجلاً.

﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ أي: يمنعون ما يجب بذله من المواعين وهي الأواني، يعني يأتي الإنسان إليهم يستعير آنية، يقول: أنا محتاج إلى دلو، أو محتاج إلى إناء أشرب به، أو محتاج إلى مصباح كهرباء وما أشبه ذلك، فيمنع. فهذا أيضاً مذموم.

ومنع الماعون ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: قسم يأثم به الإنسان، وهو ما يجب بذله، مثال ذلك: إنسان جاءه رجل مضطر يقول: أعطني ماءً أشربه، فإن لم أشرب متُّ، فبذْل الإناء له واجب يأثم بتركه الإنسان، حتى إن بعض العلماء يقول: لو مات هذا الإنسان فإنه يضمنه بالدية، لأنه هو سبب موته ويجب عليه بذل ما طلبه.

القسم الثاني: قسم لا يأثم به، لكن يفوته الخير. وهو ما لم يجب بذله.

فيجب على المرء أن ينظر في نفسه هل هو ممن اتصف بهذه الصفات أو لا؟ إن كان ممن اتصف بهذه الصفات قد أضاع الصلاة وسها عنها، ومنع الخير عن الغير

فليتب وليرجع إلى الله، وإلا فليبشر بالويل ـ والعياذ بالله ـ وإن كان قد تنزه عن ذلك فليبشر بالخير.

والقرآن الكريم ليس المقصود منه أن يتلوه الإنسان، ليتعبد لله تعالى بتلاوته فقط، بل المقصود أن يتأدب به ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ». يعني أخلاقه التي يتخلق بها يأخذها من القرآن.

ما يستفاد من الآيـات:

١- التحذير من خطورة أكل مال اليتيم.

٢- التنديد والوعيد للذين يتهاونون بالصلاة ولا يبالون في أي وقت صلوها وهو من علامات النفاق والعياذ بالله.

٣- تحريم الرياء وأنه محبطٌ للعمل.

٤- الحث على إعانة المسلمين وإعارتهم ما ينتفعون به وعدم البخل عليهم، وأن منع الماعون من صفات المنافقين.

٥- قاعدة مهمة في التفسير وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (انظر القواعد الحسان للعلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

الأسئلة

س١: ما المقصد الذي اشتملت عليه هذه السورة؟

س٢: ما معنى سهوهم عن الصلاة؟ وما معنى منع الماعون؟

س٣: اذكر فائدتين من الفوائد التي تؤخذ من الآيات.

سورة قريش
(مكية)

سميت بذلك لوقوع اسم قريش في مطلعها في قوله ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ
٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم
مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- أمر قريش بتوحيد الله تعالى بالربوبية تذكيرا لهم بنعمةِ أَنَّ الله مكن لهم السير في الأرض للتجارة برحلتي الشتاء والصيف لا يخشون عادياً يعدو عليهم.

٢- وذكَّرهم بأنه أَمَّنَهُم من المجاعات وأمنهم من المخاوف لما وقر في نفوس العرب من حرمتهم؛ لأنهم سكان الحرم وعُمَّار الكعبة.

٣- وذكَّرهم بما ألهم الناس من جلب المِيرَة إليهم من الآفاق المجاورة كبلاد الحبشة.

٤- وذكَّرهم بردِّ القبائل فلا يُغير على بلدهم أحد قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧] فأكسبهم ذلك مهابة في نفوس الناس وعطفا منهم.

المعنى الإجمالي للسورة:

هذه السورة لـها صلة بالسورة التي قبلها، إذ إن السورة التي قبلها فيها بيان منة الله عَزَّوَجَلَّ على أهل مكة بـما فعل بأصحاب الفيل الذين قصدوا مكة لـهدم الكعبة.

فبين الله في هذه السورة نعمة أخرى كبيرة على أهل مكة (على قريش) وهو إلافهم مرّتين في السنة، مرة في الصيف ومرة في الشتاء:

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۞ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ والإلف بـمعنى الجمع والضم، ويراد به التجارة التي كانوا يقومون بها مرة في الشتاء، ومرة في الصيف، أما في الشتاء فيتجهون نـحو اليمن للمحصولات الزراعية فيه، ولأن الجو مناسب، وأما في الصيف فيتجهون إلى الشام لأن غالب تـجارة الفواكه وغيرها تكون في الصيف مع مناسبة الجو البارد للشام. فهي نعمة منَّ الله سبحانه وتعالى على قريش في هاتين الرحلتين؛ لأنه يحصل منها فوائد كثيرة ومكاسب كبيرة، أمرهم الله أن يعبدوا رب هذا البيت قال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ شكراً له على هذه النعمة، أي فبهذه النعم العظيمة يـجب عليهم أن يعبدوا الله.

والعبادة هي التذلل لله عَزَّوَجَلَّ بالسمع والطاعة محبة وتعظيماً.

فإذا بلغه عن الله ورسوله أمر قال: سمعنا وأطعنا، وإذا بلغه خبر قال: سمعنا وآمنا، على وجه الـمحبة والتعظيم، فبالـمحبة يقوم الإنسان بفعل الأوامر، وبالتعظيم يترك النواهي خوفاً من هذا العظيم عَزَّوَجَلَّ، هذا معنى من معاني العبادة.

وتطلق العبادة على نفس الـمتعبد به، كما حدّها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا المعنى فقال: «إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأعمال الظاهرة، والباطنة». **(انظر رسالة العبودية له)**

وقوله: ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ يعني به الكعبة المعظمة، وقد أضافها الله تعالى إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً في قوله تعالى:

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]. وهنا أضاف ربوبيته إليه على سبيل التشريف والتعظيم فقال: ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾. إذاً خصّصَ البيتَ بالربوبية مرة، وأضافه إلى نفسة مرة أخرى تشريفاً وتعظيماً.

قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم﴾ هذه صفة للرب، ولهذا يحسن أن تقف فتقول ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ ثم تقول: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم﴾ لأنك لو وصلت فقلت: ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم﴾ لظن السامع أن «الذي» صفة للبيت، وهذا بعيد من المعنى ولا يستقيم به المعنى.

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ بين الله نعمته عليهم، النعمة الظاهرة والباطنة:

فإطعامهم من الجوع وقاية من الهلاك في أمر باطن، وهو الطعام الذي يأكلونه.

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ وقاية من الخوف في الأمر الظاهر؛ لأن الخوف ظاهر، إذا كانت البلاد محوطة بالعدو، وخاف أهلها وامتنعوا عن الخروج، وبقوا في ملاجئهم.

فذكرهم الله بهذه النعمة ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ آمَن مكان في الأرض هو مكة، ولذلك لا يُقطع شجرها، ولا يُحش حشيشها، ولا تُلتقط ساقطتها، ولا يصاد صيدها، ولا يسفك فيها دم.

وهذه الخصائص لا توجد في البلاد الأخرى حتى المدينة، محرمة ولها حرم، لكن حرمها دون حرم مكة بكثير، حرم مكة لا يمكن أن يأتيه أحد من المسلمين لم يأتها ولا

مرة إلا محرماً، والـمدينة ليست كذلك، حرم مكة يـحرم حشيشه وشجره مطلقاً، وأما حرم الـمدينة فرخص في بعض شجره للحرث ونـحوه.

صيد مكة حرام وفيه الجزاء، وصيد المدينة ليس فيه الجزاء.

ولولا أن الله تعالى يسر على عباده لكانت البهائم التي ليست صيوداً تـُحرم أيضاً، لكن الله تعالى رحم العباد وأذن لـهم أن يذبـحوا وينحروا في هذا الـمكان. وهذه النعمة ذكرهم الله بها في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]

يعني أفلا يشكرون الله على هذا؟! فهذه السورة كلها تذكير لقريش بـما أنعم الله عليهم في هذا البيت العظيم، وفي الأمن من الخوف، وفي الإطعام من الجوع.

فإذا قال قائل: ما واجب قريش نـحو هذه النعمة؟ وكذلك ما واجب من حلّ في مكة الآن من قريش أو غيرهم؟

الواجب الشكر لله تعالى بالقيام بطاعته، بامتثال أمره واجتناب نهيه. ولـهذا إذا كثرت الـمعاصي في الحرم فالخطر على أهله أكثر من الخطر على غيرهم، لأن الـمعصية في مكان فاضل أعظم من المعصية في مكان مفضول، ولـهذا قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ [الحج: ٢٥]. فتوعد الله تعالى من أراد فيه أي من هم به فيه بإلـحاد فضلاً عمن ألحد.

ما يستفاد من الآيات:

١- نعمتا الأمن من الخوف والشبع بعد الجوع من أعظم النعم الدنيوية التي تستوجب شكر الله عَزَّوَجَلَّ والحفاظ عليها.

٢- بيان وجوب عبادة الله تعالى وترك عبادة من سواه والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

٣- الحث على التدبر في نعم الله وشكره عليها.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما النعم التي أنعم الله تعالى بـــــها على قريش من خلال ما درســـت في السورة؟

س٣: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾؟

س٤: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من السورة؟

سورة الفيل
(مكية)

سـميت بذلك لذكرها قصـة الفيل في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾
تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- تضمنت التذكير بأن الكعبة حرم الله وأن الله حماه ممن أرادوا به سوءا وليكون ما حل بهم تذكرة لقريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت وأن لا حظ فيه للأصنام التي نصبوها حوله.

٢- تنبيه قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته.

٣- تثبيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الله يدفع عنه كيد المشركين فإن الذي دفع كيد من يكيد لبيته لأَحَقُ بأن يدفع كيد من يكيد لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه ويشعر بهذا قوله: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴾.

٤- التذكير بأن الله غالب على أمره، وأن لا تُغر المشركين قوتهم ووفرة عددهم ولا يوهن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تألب قبائلهم عليه فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا.

فائدة:

لم يتكرر في القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل خلافا لقصص غيرهم من الأمم لوجهين:

أحدهما: أن إهلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله.

وثانيهما: أن لا يتخذ منه المشركون غرورا بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكي في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[التوبة: ١٩] الآية وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤].

المعنى الإجمالي للسورة:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ يخاطب الله تعالى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يخاطب كل من يصح توجيه الخطاب إليه.

فعلى الأول يكون خطاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطاباً له وللأمة؛ لأن أمته تابعة له. وعلى الثاني يكون الخطاب عاماً له ولأمته، ابتداءً.

يقرر ما فعل سبحانه وتعالى بأصحاب الفيل، وأصحاب الفيل هم أهل اليمن الذين جاؤوا لهدم الكعبة بفيل عظيم أرسله إليهم ملك الحبشة، وسبب ذلك أن ملك اليمن أراد أن يصد الناس عن الحج إلى الكعبة، بيت الله عَزَّ وَجَلَّ فبنى بيتاً يشبه الكعبة، ودعا الناس إلى حجه ليصدهم عن حج بيت الله فغضب لذلك العرب، وذهب رجل منهم إلى هذا البيت الذي جعله ملك اليمن بدلاً عن الكعبة وتغوَّط فيه، ولطخ جدرانه

بالقذر، فغضب ملك اليمن غضباً شديداً، وأخبر ملك الحبشة بذلك فأرسل إليه هذا الفيل العظيم قيل: وكان معه ستة فيلة لتساعده فجاء ملك اليمن بجنوده ليهدم الكعبة على زعمه، ولكن الله سبحانه حَفِظ بيته، فلما وصلوا إلى مكان يسمى المغمَّس وقف الفيل وحرن، وأبى أن يتجه إلى الكعبة فزجره سايسه ولكنه أبى، فإذا وجهوه إلى اليمن انطلق يهرول، وإن وجهوه إلى مكة وقف، وهذه آية من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، ثم بقوا حتى أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾

قال العلماء: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ يعني: جماعات متفرقة، كل طير في منقاره حجر صلب ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ وهو الطين المشوي؛ لأنه يكون أصلب، وهذا الحجر ليس كبيراً، بل هو صغير يضرب الواحد من هؤلاء مع رأسه ويخرج من دبره - والعياذ بالله-.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي: كزرع أكلته الدواب ووطئته بأقدامها حتى تفتت.

وهكذا كل من أراد الحق بسوء فإن الله تعالى يجعل كيده في نحره، وإنما حمى الله عَزَّوَجَلَّ الكعبة عن هذا الفيل مع أنه في آخر الزمان سوف يُسلط عليها رجل من الحبشة يهدمها حجراً حجراً حتى تتساوى بالأرض لأن قصة أصحاب الفيل مقدمة لبعثة الرسول محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي يكون فيها تعظيم البيت.

أما في آخر الزمان فإن أهل البيت إذا أهانوه وأرادوا فيه بإلحاد بظلم، ولم يعرفوا قدره حينئذ يسلط الله عليهم من يهدمه حتى لا يبقى على وجه الأرض، ولهذا يجب

على أهل مكة خاصة أن يحترزوا من المعاصي والذنوب والكبائر، لئلا يُهينوا الكعبة فيذلهم الله عَزَّوَجَلَّ.

ما يستفاد من الآيات:

١ – دمر الله أصحاب الفيل وأهلكهم وأضاع سعيهم وهذا مصير كل من كاد لدين الله وأهله.

٢ – تذكير قريش بفعل الله عَزَّوَجَلَّ تخويفاً لهم وترهيباً.

٣ – مظاهر قدرة الله تعالى في تدبيره لخلقه وبطشه بأعدائه.

٤ – بيان أهمية القصص القرآني في التذكير والمواعظ.

الأسئلة

س١ : اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢ : من المخاطب بقوله: ﴿أَلَم تَرَ﴾؟ وما فائدة هذا الخطاب؟

س٣: استعرض قصة أصحاب الفيل باختصار.

س٤ : ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من السورة؟

سورة الهمزة

(مكية)

سـميت بهذا الاسـم لافتتاحها بقوله تعالى ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾ والهمزة هو الذي يغتاب الناس ويطعن فيهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢
يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ
أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى
ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩ ﴾

من مقاصد هذه السورة:

والمقصد الذي اشتملت عليه هذه السورة وعيد جماعة من المشـركين جعلوا همز المسلمين ولمزهم ضربا من ضروب أذاهم طمعا في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى إلى الانصـراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك.

المعنى الإجمـالي للسـورة:

﴿ وَيۡلٞ ﴾ أي: وعيد، ووبال، وشدة عذاب ﴿ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾ الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله.

ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا هم له سوى جمع المال وتعديده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك، ﴿ يَحۡسَبُ ﴾

بجهله ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ في الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه كله في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار، ويخرب الديار، وأن البر يزيد في العمر.

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي: ليطرحن ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ تعظيم لها، وتهويل لشأنها.

ثم فسرها بقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ التي وقودها الناس والحجارة ﴿ٱلَّتِى﴾ من شدتها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب.

ومع هذه الحرارة البليغة هم محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، ولهذا قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي: مغلقة ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ من خلف الأبواب ﴿مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ لئلا يخرجوا منها ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾[السجدة: ٢٠]. نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية.

ما يستفاد من الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- التحذير من الغيبة والنميمة والغمز واللمز بالأقوال والأفعال وأنها من كبائر الذنوب، وعقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة أنه تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه وإن عذبه فإنه لا يخلد في النار بخلاف اعتقاد الفرق المنحرفة كالخوارج والمعتزلة والمرجئة.

٣- التنبيه على عدم الاغترار بكثرة المال والولد.

٤- بيان النار وحال شدتها وإطباقها.

الأسئلة

س١: ما المقصد الذي اشتملت عليه هذه السورة؟

س٢: ما الفرق بين الهمز واللمز؟

س٣: ما معنى قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾؟

س٤: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من السورة؟

سورة العصر

(مكية)

سميت بهذا الاسم لقسم الله به في مطلعها بقوله تعالى ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- إثبات الخسران الشديد لأهل الشرك ومن كان مثلهم من أهل الكفر بالإسلام بعد أن بلغت دعوته، وكذلك من تقلد أعمال الباطل التي حذر الإسلام المسلمين منها.

٢- إثبات نجاة وفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات والداعين منهم إلى الحق.

٣- إثبات فضيلة الصبر على تزكية النفس ودعوة الحق.

منزلة هذه السورة:

وقد كان أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ اتخذوها شعارا لهم في ملتقاهم. روى الطبراني بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله بن الحصين الأنصاري (من التابعين) أنه قال: «كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر (أي سلام التفرق وهو سنة أيضا مثل سلام القدوم) .

وعن الشافعي: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم. وفي رواية عنه: لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم. وقال غيره: إنها شملت جميع علوم القرآن.

المعنى الإجمالي للسورة:

أقسم الله تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح.

والخسار مراتب متعددة متفاوتة:

قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان من دون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.

والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة. والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح ﴿العظيم﴾

ما يستفاد من الآيات:

١- النجاة من الخسران لا تكون إلا لمن آمن إيمانا لا تردد فيه.

٢- الخسران التام للمكذبين بدين الله عَزَّوَجَلَّ.

٣- اقتران الإيمان بالعمل الصالح وهو عقيدة أهل السنة والجماعة خلافا للمرجئة.

٤- الحث على التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المسلمين.

٥- بيان أن من دعا إلى الله على منهج الأنبياء لابد أن يُحارب ويُعادى فنبه على التواصي بالصبر في سبيل الدعوة إلى الله.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما معنى العصر في السورة؟

س٣: أين جواب القسم في السورة؟

س٤: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من السورة؟

سورة التكاثر
(مكية)

سـميت بهذا الاسـم لافتتاحها بهذا اللفظ في قوله تعالى ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ أي شغلكم التفاخر بالأموال والأولاد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ
ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ
﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر بالأسلاف وعدم الإقلاع عن ذلك إلى أن يصيروا في القبور كما صار من كان قبلهم وعلى الوعيد على ذلك.

٢- الحث على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم وأنهم مبعوثون ومسؤولون عن إهمال شكر المنعم العظيم.

المعنى الإجمالي للسورة:

يخبر الله عَزَّوَجَلَّ العباد مخاطباً لهم بقوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ومعنى ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ أي شغلكم حتى لهوتم عمّا هو أهم من ذكر الله تعالى والقيام بطاعته، والخطاب هنا لجميع الأمة إلا أنه يخصص بمن شغلتهم أمور الآخرة عن أمور الدنيا وهم قليل، وإنما نقول هم قليل لأنه ثبت في الصحيحين أن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، واحد في الجنة والباقي في النار، وهذا عدد هائل ! إذا لم يكن من بني آدم إلا واحدٌ من الألف من أهل الجنة والباقون من أهل النار.

إذن فالخطاب بالعموم في مثل هذه الآية جار على أصله، لأن الواحد من الألف ليس بشيء بالنسبة إليه، وأما قوله: ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فهو يشمل التكاثر بالمال، والتكاثر بالقبيلة، والتكاثر بالجاه، والتكاثر بالعلم، وبكل ما يمكن أن يقع فيه التفاخر، ويدل لذلك قول صاحب الجنة لصاحبه: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ [الكهف:٣٤].

فالإنسان قد يتكاثر بماله فيطلب أن يكون أكثر من الآخر مالاً وأوسع تجارة، وقد يتكاثر الإنسان بقبيلته، يقول نحن أكثر منهم عدداً، كما قال الشاعر:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

أكثر منهم حصى؛ لأنهم كانوا فيما سبق يعدون الأشياء بالحصى. فمثلاً: إذا كان هؤلاء حصاهم عشرة آلاف، والآخرون حصاهم ثمانية آلاف صار الأول أكثر وأعز.

كذلك يتكاثر الإنسان بالعلم، فيكاثر به على غيره، لكن إن كان بالعلم الشرعي فهو خير، وإن كان بالعلم غير الشرعي فهو إما مباح وإما محرم.

وهذا هو الغالب على بني آدم، يتكاثرون في هذه الأمور عما خلقوا له من عبادة الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ يعني إلى أن زرتم المقابر، إلى أن مُتّم، فالإنسان مجبول على التكاثر إلى أن يموت، بل كلما ازداد به الكِبر ازداد به الأمل، فهو يشيب في السن ويشب في الأمل، فترى الرجل له تسعون سنة مثلاً تجد عنده من الآمال وطول الأمل ما ليس عند الشاب الذي له خمس عشرة سنة. أي: أنكم تلهوتم بالتكاثر عن الآخرة إلى أن متّم.

وقيل: إن معنى ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ حتى أصبحتم تتكاثرون بالأموات كما تتكاثرون بالأحياء، فيأتي الإنسان فيقول: أنا قبيلتي أكثر من قبيلتك وإذا شئت فاذهب إلى القبور عد القبور منا، وعد القبور منكم فأينا أكثر؟ لكن هذا قول ضعيف بعيد من سياق الآية.

استدل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ على أن الزائر لابد أن يرجع إلى وطنه، وأن القبور ليست بدار إقامة، وكذلك يذكر عن بعض الأعراب أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فقال: «والله ما الزائر بمقيم، والله لنبعثن» لأن الزائر كما هو معروف يزور ويرجع، فقال: والله لنبعثن. وهذا هو الحق.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

قيل: إن ﴿كَلَّا﴾ بمعنى الردع، يعني: ارتدعوا عن هذا التكاثر، وقيل: إنها بمعنى حقًّا.

﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ معناه: سوف تعلمون عاقبة أمركم إذا رجعتم إلى الآخرة، وأن هذا التكاثر لا ينفعكم. وقد جاء في الحديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه مسلم «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي ـ قَالَ ـ وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ» والباقي تاركه لغيرك وهذا هو الحق، فلا يمكن أن يخرج المال الذي بأيدينا عن هذه القسمة الرباعية.

﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾

أي: سوف تعلمون عاقبة أمركم بالتكاثر الذي ألهاكم عن الآخرة.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ وهذه الجملة تأكيد للردع مرة ثانية.

ثم قال: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ يعني: حقًّا لو تعلمون علم اليقين لعرفتم أنكم في ضلال، ولكنكم لا تعلمون علم اليقين، لأنكم غافلون لاهون في هذه الدنيا، ولو علمتم علم اليقين لعرفتم أنكم في ضلال وفي خطأ عظيم.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾

﴿لَتَرَوُنَّ﴾ هذه الجملة مستقلة ليست جواب «لو»، ولهذا يجب على القارئ أن يقف عند قوله: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ ونحن نسمع كثيراً من الأئمة يصلون فيقولون ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ وهذا الوصل إما غفلة منهم ونسيان، وإما أنهم لم يتأملوا الآية حق التأمل، وإلا لو تأملوها حق التأمل لوجدوا أن الوصل يفسد المعنى لأنه إذا قال ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ صار رؤية الجحيم مشروطة بعلمهم، وهذا ليس بصحيح، لذلك يجب التنبه والتنبيه لهذا.

أولاً: لأنها رأس آية، والمشروع أن يقف الإنسان عند رأس كل آية. وثانياً: أن الوصل يفسد المعنى.

إذن ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ جملة مستأنفة لا صلة لـها بـما قبلها، وهي جملة قسمية، فيها قسم مقدر والتقدير: والله لترون الجحيم. وجملة «ترون» هي جواب القسم الـمحذوف.

و﴿ٱلْجَحِيمَ﴾ اسم من أسماء النار ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ تأكيد لرؤيتها، ومتى تُرى؟ يوم القيامة تُرى، يؤتى بها تُجر بسبعين ألف زمام، كل زمام يـجره سبعون ألف ملك، فما ظنك بهذه النار ـ والعياذ بالله ـ إنها نار كبيرة عظيمة لأن فيها سبعين ألف زمام، كل زمام يـجره سبعون ألف ملك، والـملائكة عظام شداد فهي نار عظيمة أعاذنا الله منها.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ يعني: ثم في ذلك الوقت، في ذلك الـموقف العظيم تسألن عن النعيم، واختلف العلماء رحمهم الله في قوله: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ هل الـمراد الكافر، أو الـمراد الـمؤمن والكافر؟

والصواب: أن الـمراد الـمؤمن والكافر، كل يسأل عن النعيم، لكن الكافر يسأل سؤال توبيخ وتقريع، والـمؤمن يسأل سؤال تذكير، والدليل على أنه عام ما جرى في قصة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأبي بكر وعمر، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بأبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ»؟ قَالاَ الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِّ. قَالَ «وَأَنَا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لأخرجني الَّذِى أَخْرَجَكُمَا قُوموا». فَقَاموا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ في بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ مَرْحَبًا وَأَهْلاً. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «أَيْنَ فُلاَنٌ»؟ قَالَتْ ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ للهِّ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّى قَالَ فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِيَّاكَ

وَالْحُلُوبَ». فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ».

وهذا دليل على أن الذي يُسأل المؤمن والكافر. ولكن يختلف السؤال، سؤال المؤمن سؤال تذكير بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليه حتى يفرح، ويعلم أن الذي أنعم عليه في الدنيا ينعم عليه في الآخرة، بمعنى أنه إذا تكرم بنعمته عليه في الدنيا تكرم عليه بنعمته في الآخرة، أما الكافر فإنه سؤال توبيخ وتنديم.

ما يستفاد من الآيـات:

١- الجنة أو النار هي مثوى الإنسان الأخير وليس كما يقول البعض أن المثوى الأخير هو القبر فالزائر يقيم مدة يسيرة ثم يرتحل.

٢- إثبات عذاب القبر.

٣- الناس يبعثون ويُسألون عما قدموا في الدنيا.

٤- بيان أن الصحة والعافية والأمن والسلامة والأكل والشرب الذي يتنعم به الإنسان من النعيم الذي سيُسأل عنه يوم القيامة.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: من أين يُؤخذ الوعيد الشديد على من تشاغل بالمال وجمعه عن الآخرة؟

س٣: ما النعيم الذي سيُسأل عنه الإنسان في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾؟

س٤: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من السورة؟

سورة القارعة
(مكية)

سميت بهذا الاسم لمفتتحها بهذا الاسم في قوله تعالى ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣
يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ
كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى
عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ
۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- ذُكر فيها إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال.

٢- إثبات الجزاء على الأعمال وأن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله في نعيم، وأهل الأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله في قعر الجحيم.

المعنى الإجمالي للسورة:

الْقَارِعَةُ: من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك، لأنها تقرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه بقوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾ من شدة الفزع والهول، ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أُوقِدَ لها

نار تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول، وأما الجبال الصم الصلاب، فتكون ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ أي: كالصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفًا جدًا، تطير به أدنى ريح، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[النمل: ٨٨]، ثم بعد ذلك، تكون هباء منثورًا، فتضمحل ولا يبقى منها شيء يشاهد، فحينئذ تنصب الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ في جنات النعيم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها الهاوية، تكون له بمنزلة الأم الملازمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

وقيل: إن معنى ذلك، فأم دماغه هاوية في النار، أي: يلقى في النار على رأسه.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ وهذا تعظيم لأمرها، ثم فسرها بقوله هي: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ أي: شديدة الحرارة، قد زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا سبعين ضعفًا. نستجير بالله منها.

ما يستفاد من الآيـات:

١- إثبات عقيدة البعث والجزاء.

٢- الحال التي تكون عليها بعض المخلوقات يوم القيامة.

٣- تقرير عقيدة وزن الأعمال صالحها وفاسدها وترتيب الجزاء عليها.

٤- على المسلم أن لا يحقر من المعروف شيئا وإن قل.

٥- وزن الأعمال يوم القيامة.

٦- وفي هذه الآية دليل على أن الناس إذا تساوت حسناتهم وسيئاتهم لا يدخلون النار وإنما يحبسون في مكان يقال له الأعراف، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف ما يجري بينهم وبين المؤمنين، وأنهم إذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: علام يدلُّ اسم القارعة؟

س٣: اذكر ما تعرفه من أسماء يوم القيامة؟

س٤: ما تفسير قوله تعالى﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾؟

س٥: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من السورة؟

سورة العاديات
(مكية)

سميت سورة العاديات لأن الله افتتاحها بالقسم بالعاديات وهي خيل الجهاد في قوله تعالى ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ
صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ
ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾
وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- ذم خصال تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالبة على المشركين والمنافقين، ويراد تحذير المسلمين منها.

٢- وعظ الناس بأن وراءهم حسابا على أعمالهم بعد الموت ليتذكره المؤمن ويهدد به الجاحد، وأكد ذلك كله بأن افتتح بالقسم، وأدمج في القسم التنويه بخيل الغزاة أو رواحل الحجيج.

المعنى الإجمالي للسورة:

أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل، لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة، ما هو معلوم للخلق.

وأقسم (تعالى) بها في الحال التي لا يشاركها (فيه) غيرها من أنواع الحيوانات، فقال: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ أي: العاديات عدوًا بليغًا قويًا، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها، عند اشتداد العدو...

﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ﴾ بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار ﴿قَدْحًا﴾ أي: تقدح النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عدون، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ على الأعداء ﴿صُبْحًا﴾ وهذا أمر أغلبي، أن الغارة تكون صباحًا، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾ أي: بعدوهن وغارتهن ﴿نَقْعًا﴾ أي: غبارًا، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أي: براكبهن ﴿جَمْعًا﴾ أي: توسطن به جموع الأعداء، الذين أغار عليهم.

والمقسم عليه، قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ أي: لمنوع للخير الذي عليه لربه.

فطبيعة ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ وجبلته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق، فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية، إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق، ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: إن الإنسان على ما يعرف من نفسه من المنع والكند لشاهد بذلك، لا يجحده ولا ينكره، لأن ذلك أمر بين واضح. ويحتمل أن الضمير عائد إلى الله تعالى أي: إن العبد لربه لكنود، والله شهيد على ذلك، ففيه الوعيد، والتهديد الشديد، لمن هو لربه كنود، بأن الله عليه شهيد.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: كثير الحب للمال. وحبه لذلك، هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه، قدم شهوة نفسه على حق ربه، وكل هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة، ولهذا قال حاثًا له على خوف يوم الوعيد: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾ أي: هلا يعلم هذا المغتر﴿إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ أي: أخرج الله الأموات من قبورهم، لحشرهم ونشورهم.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي: ظهر وبان ﴿ما فيها﴾ ما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهرًا، وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾ أي مُطَّلِع على أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، ومجازيهم عليها. وخص خبره (بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت، لأن المراد بذلك، الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه.

ما يستفاد من الآيات:

١ - الترغيب في الجهاد والإعداد له كالخيل قديماً، والطائرات والصواريخ حديثاً.

٢ - بيان حقيقة أن الإنسان كفور لربه ونعمه عليه يذكر المصيبة إذا أصابته وينسى النعم التي غطته إلا إذا آمن وعمل صالحاً.

٣ - لله عَزَّوَجَلَّ أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

٤ - إثبات عقيدة البعث والنشور والجزاء.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما المقسم به والمقسم عليه في السورة؟

س٣: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾؟

س٤: ما الذي يُؤخذ ويُستفاد من السورة؟

مفردات الوحدة الثانية

- سورة الزلزلة
- سورة البينة
- سورة القدر
- سورة العلق
- سورة التين
- سورة الشرح
- سورة الضحى
- سورة الليل
- سورة الشمس
- سورة البلد
- سورة الفجر
- سورة الغاشية
- سورة الأعلى

سورة الزلزلة
(مدنية)

سميت بهذا الاسم لافتتاحها بالإخبار عن حدوث الزلزال قبل يوم القيامة في قوله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢ وَقَالَ
ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا
٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ٦ فَمَن يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- إثبات البعث وذكر أشراطه وما يعتري الناس عند حدوثها من الفزع.

٢- حضور الناس للحشر وجزاؤُهم على أعمالهم من خير أو شر وهو تحريض على فعل الخير واجتناب الشر.

المعنى الإجمالي للسورة:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾

المراد بذلك ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ

كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢١].

وقوله: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ يعني الزلزال العظيم الذي لم يكن مثله قط، ولـهذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ يعني من شدة ذهولـهم وما أصابهم تـجدهم كأنهم سكارى، وما هم بسكارى بل هم صحاة، لكن لشدة الـهول صار الإنسان كأنه سكران لا يدري كيف يتصرف، ولا كيف يفعل.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾

الـمراد بهم: أصحاب القبور، فإنه إذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، يـخرجون من قبورهم لرب العالمين عَزَّوَجَلَّ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ الـمراد بالإنسان الجنس، يعني أن الإنسان البشر يقول: ما لـها؟ أي شيء لـها هذا الزلزال؟ ولأنه يـخرج وكأنه كما قال الله تعالى: ﴿سُكَٰرَىٰ﴾، فيقول: ما الذي حدث لـها وما شأنها؟ لشدة الـهول.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي في ذلك اليوم إذا زلزلت ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي تـخبر عمّا فعل الناس عليها من خير أو شر، وقد ثبت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الـمؤذن إذا أذن فإنّه لا يسمع صوته شجر، ولا مدر، ولا حجر، ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، فتشهد الأرض بـما صنع عليها من خير أو شر، وهذه الشهادة من أجل بيان عدل الله عَزَّوَجَلَّ، وأنّه سبحانه وتعالى لا يؤاخذ الناس إلا بـما عملوه، وإلا فإن الله تعالى بكل شيء محيط، ويكفي أن يقول لعباده جل وعلا عملتم كذا وعملتم كذا.. لكن من باب إقامة العدل

وعدم إنكار المجرم؛ لأن المجرمين ينكرون أن يكونوا مشركين، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. لأنهم إذا رأوا أهل التوحيد قد خلصوا من العذاب ونجوا منه أنكروا الشرك لعلهم ينجون، ولكنهم يُختم على أفواههم، وتكلم الأيدي، وتشهد الأرجل والجلود والألسن، كلها تشهد على الإنسان بما عمل، وحينئذ لا يستطيع أن يبقى على إنكاره بل يقر ويعترف، إلا أنه لا ينفع الندم في ذلك الوقت.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ هو جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: بسبب أن الله أوحى لها، يعني أذن لها في أن تحدث أخبارها، وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، إذا أمر شيئاً بأمر فإنه لابد أن يقع، يخاطب الله الجماد فيتكلم الجماد، كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وقال الله تعالى للقلم اكتب، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. وقال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

فالله عَزَّوَجَلَّ إذا وجه الكلام إلى شيء ولو جماداً فإنه يخاطب الله ويتكلم.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يومئذ تزلزل الأرض زلزالها ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي جماعات متفرقين، يصدرون، كلٌ يتجه إلى مأواه، فأهل الجنة - جعلنا الله منهم - يتجهون إليها، وأهل النار - والعياذ بالله - يساقون إليها ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا

﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم].

فيصدر الناس جماعات وزمراً على أصناف متباينة تختلف اختلافاً كبيراً كما قال الله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يعني يصدرون أشتاتاً فيُرَون أعمالهم، يريهم الله تعالى أعمالهم إن خيراً فخير، وإن شًرا فشر، وذلك بالحساب وبالكتاب، فيعطى الإنسان كتابه إما بيمينه، وإما بشماله، ثم يحاسب على ضوء ما في هذا الكتاب، يحاسبه الله عَزَّوَجَلَّ، أما المؤمن فإن الله تعالى يخلو به وحده ويقرره بذنوبه ويقول: فعلت كذا، وفعلت كذا وكذا، وفعلت كذا، حتى يقر ويعترف، فإذا رأى أنه هلك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: «فَإِنِّى قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَا وَإِنِّى أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»، وأما الكافر ـ والعياذ بالله ـ فإنه لا يعامل هذه المعاملة بل ينادى على رؤوس الأشهاد ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود:١٨].

وقوله: ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ هذا مضاف والمضاف يقتضي العموم وظاهره أنهم يرون الأعمال الصغير والكبير وهو كذلك، إلا ما غفره الله من قبل بحسنات، أو دعاء أو ما أشبه ذلك فهذا يُمحى كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] فيرى الإنسان عمله، القليل والكثير حتى يتبين له الأمر جليًّا ويعطى كتابه ويقال: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ٦٤] ولهذا يجب على الإنسان أن لا يقدم على شيء لا يرضي الله

عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه يعلم أنه مكتوب عليه، وأنه سوف يحاسب عليه، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾

﴿مَن﴾ شرطية تفيد العموم، يعني: أي إنسان يعمل مثقال ذرة فإنه سيراه، سواء من الخير، أو من الشر. ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

يعني وزن ذرة، والمراد بالذرة: صغار النمل كما هو معروف، وليس المراد بالذرة: الذرة المتعارف عليها اليوم كما ادعاه بعضهم، لأن هذه الذرة المتعارف عليها اليوم ليست معروفة في ذلك الوقت، والله عَزَّوَجَلَّ لا يخاطب الناس إلا بما يفهمون، وإنما ذكر الذرة لأنها مضرب المثل في القلة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

ومن المعلوم أن من عمل ولو أدنى من الذرة فإنه سوف يجده، لكن لما كانت الذرة مضرب المثل في القلة قال الله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يفيد أن الذي يوزن هو الأعمال، وهذه المسألة **اختلف فيها أهل العلم على أقوال:**

الأول: إن الذي يوزن العمل.

الثاني: إن الذي يوزن صحائف الأعمال.

الثالث: إن الذي يوزن هو العامل نفسه. ولكل دليل:

أما من قال: إن الذي يوزن هو العمل فاستدل بهذه الآية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾؛ لأن تقدير الآية فمن يعمل عملاً مثقال ذرة.

واستدلوا أيضاً بقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ».

لكن يشكل على هذا أن العمل ليس جسماً يمكن أن يوضع في الميزان بل العمل عمل انتهى وانقضى. ويجاب عن هذا بأن يقال:

أولاً: على المرء أن يصدق بما أخبر الله تعالى به ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من أمور الغيب، وإن كان عقله قد يحار فيه، ويتعجب ويقول كيف يكون هذا؟ فعليه التصديق لأن قدرة الله تعالى فوق ما نتصور، فالواجب على المسلم أن يسلم ويستسلم ولا يقول كيف؟ لأن أمور الغيب فوق ما يتصور.

ثانياً: أن الله تعالى يجعل هذه الأعمال أجساماً توضع في الميزان وتثقل وتخف، والله تعالى قادر على أن يجعل الأمور المعنوية أجساماً، كما صح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ» مع أنه في صورة كبش، والموت (معنى) ليس جسماً ولكن الله تعالى يجعله جسماً يوم القيامة، فيقولون: هذا الموت «وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»، وبهذا يزول الإشكال الوارد على هذا القول.

أما من قال: إن الذي يوزن هو صحائف الأعمال فاستدلوا بحديث صاحب البطاقة الذي يؤتى به يوم القيامة «فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ قَالَ لاَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ لاَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ أَحْضِرُوهُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ

فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ قَالَ فَطَاشَتْ السِّجِلاّتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ»(قالوا فهذا دليل على أن الذي يوزن هو صحائف الأعمال.

وأما الذين قالوا: إن الذي يوزن هو العامل نفسه فاستدلوا بـحديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنْ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيق السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ»؟ قَالُوا يَا نَبِيَّ اللهِّ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»، وهذا يدل على أن الذي يوزن هو العامل.

فيقال: نأخذ بالقول الأول: أن الذي يوزن العمل، ولكن ربـما يكون بعض الناس توزن صحائف أعماله، وبعض الناس يوزن هو بنفسه.

فإن قال قائل: على هذا القول أن الذي يوزن هو العامل هل ينبني هذا على أجسام الناس في الدنيا وأن صاحب الجسم الكبير العظيم يثقل ميزانه يوم القيامة؟

فالجواب: لا ينبني على أجسام الدنيا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِّ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ اقْرَؤُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٥). وهذا عبدالله بن مسعود يقول النبي عليه الصلاة والسلام في ساقيه: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»، فالعبرة بثقل الجسم أو عدمه، ثقله يوم القيامة بـما كان معه من أعمال صالـحة.

يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

وهذه السورة فيها تحذير وتخويف من زلزلة الأرض، وفيها الحث على الأعمال الصالحة، وفيها أن العمل لا يضيع مهما قل، حتى لو كان مثقال ذرة، أو أقل فإنه لابد أن يراه الإنسان ويطلع عليه يوم القيامة.

ما يستفاد من الآيات:

١- حث المسلم على عمل الخير ولو كان قليلاً والتحذير من عمل الشر ولو كان قليلاً.

٢- الإِعلام بما يحدث للكون فتتبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات.

٣- شهادة الأرض على الإنسان بما عمل.

الأسئلة

س١ : اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢ : تحدث باختصار عن المعنى الإجمالي للسورة.

س٣: ما معنى قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴾؟

س٤ : ما الذي يُؤخذ ويُستفاد من السورة؟

سورة البينة
(مدنية)

وجه تسـميتها بسـورة البينة لورود هذا اللفظ في مُفتتحها في قوله ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾

(النص الأول)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ
تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ
قَيِّمَةٞ ٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ
ٱلۡبَيِّنَةُ ٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

٢- التعجيب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها.

٣- تكذيبَهم في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها، ووعيدهم بعذاب الآخرة، والتسجيل عليهم بأنهم شر البرية.

٤- الثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووعدهم بالنعيم الأبدي ورضى الله عنهم وإعطائه إياهم ما يرضيهم.

٥- تخلل ذلك تنويه بالقرآن وفضله على غيره باشتماله على ما في الكتب الإلهية التي جاء بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبل وما فيه من فضل وزيادة.

فضلها:

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبيّ بن كعب (إن الله يأمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قال وسماني؟ قال (نعم) فبكى.

المعنى الإجمالي للآيات:

يقول تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: من اليهود والنصارى ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من سائر أصناف الأمم.

﴿مُنفَكِّينَ﴾ عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه، أي: لا يزالون في غيهم وضلالهم، لا يزيدهم مرور السنين إلا كفرًا.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ الواضحة، والبرهان الساطع، ثم فسر تلك البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: أرسله الله، يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتابًا يتلوه، ليعلم الناس الحكمة ويزكيهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ولهذا قال: ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ أي: محفوظة عن قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، لأنها في أعلى ما يكون من الكلام.

ولهذا قال عنها: ﴿فِيهَا﴾ أي: في تلك الصحف ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي: أخبار صادقة، وأوامر عادلة تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم، فإذا جاءتهم هذه البينة، فحينئذ يتبين طالب الحق ممن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

وإذا لم يؤمن أهل الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له، فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم، فإنهم ما تفرقوا واختلفوا وصاروا أحزابًا ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم ونذالتهم، لم يزدهم الهدى إلا ضلالا ولا البصيرة إلا عمى، مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد، ودين واحد فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا ﴿ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه، ﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: معرضين ﴿مائلين﴾ عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد. وخص الصلاة والزكاة ﴿بالذكر﴾ مع أنهما داخلان في قوله ﴿لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾ لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي التوحيد والإخلاص في الدين، هو ﴿دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم.

ما يستفاد من الآيات:

١- أن توحيد الله تعالى أمر به الله جميع الأمم السابقة.

٢- يجب على الأمة أن تكون بعيدة عن جميع أسباب الشرك والبدع والخرافات مائلة عنها إلى التوحيد والطاعة.

٣- أهمية الصلاة والزكاة وأن العبادات لا تقبل إلا إن كانت خالصة لله متبعا فيها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: من هم أهل الكتاب المشار إليهم في الآيات؟

س٣: لـماذا تفرق أهل الكتاب؟ وما وجه خصوصيتهم بالتفريق دون غيرهم؟

س٤: بـماذا استدل علماء أهل السنة على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؟

س٥: اذكر فائدتين من الفوائد التي تُؤخذ من النص.

(النص الثاني)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾

المعنى الإجمالي للآيات:

ذكر الله سبحانه في هذه الآيات جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ قد أحاط بهم عذابها، واشتد عليهم عقابها، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ لا يفتر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ لأنهم عرفوا الحق وتركوه، وخسروا الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ لأنهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾.

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها ولا رحيل، ولا طلب لغاية فوقها، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ فرضي عنهم بما قاموا به من مراضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم

من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء الحسن ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي: لمن خاف الله، فأحجم عن معاصيه، وقام بواجباته.

ما يستفاد من الآيات:

١- جزاء من كفر بالله عَزَّوَجَلَّ وهو نار جهنم خالدين فيها أبدا.

٢- المؤمنون بالله ورسوله هم خير البرية.

٣- فضل الخشية لله حيث تحمل صاحبها على طاعة الله ورسوله.

الأسئلة

س١: ما هو الجزاء الذي أعده الله تعالى للمؤمنين كما درست من النص؟

س٢: ما الذي يُؤخذ ويُستفاد من النص؟

سورة القدر
(مكية)

سميت سورة القدر لتكرار ذكره فيها وهي تسمية لها بصفة ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ٢
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ
رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ٥﴾

من مقاصد هذه السورة:

١ – التنويه بفضل القرآن وعظمته بإسناد إنزاله إلى الله تعالى .

٢ – الرد على الذين جحدوا أن يكون القرآن منزلا من الله تعالى.

٣ – رفع شأن الوقت الذي أنزل فيه ونزول الملائكة في ليلة إنزاله.

٤ – تفضيل الليلة التي توافق ليلة إنزاله من كل عام.

٤ – تحريض المسلمين على تحين ليلة القدر بالقيام والتصدق.

المعنى الإجمالي للسورة:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الضمير(نا) هنا يعود إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والهاء في قوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعود إلى القرآن، وذكر الله تعالى نفسه بالعظمة، لأنه سبحانه وتعالى العظيم الذي لا شيء أعظم منه، والله تعالى يذكر نفسه أحياناً بصيغة العظمة مثل هذه الآية الكريمة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].وأحياناً يذكر نفسه بصيغة الواحد مثل:﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].وذلك لأنه واحد عظيم، فباعتبار الصفة يأتي ضمير العظمة، وباعتبار الوحدانية يأتي ضمير الواحد.

وضمير الـمفعول به (الـهاء) في قوله: [أَنزَلۡنَٰهُ] يعود إلى القرآن وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن هذا أمر معلوم، ولا يـمتري أحد في أن الـمراد بذلك إنزال القرآن الكريم، أنزله الله تعالى في ليلة القدر، فما معنى إنزاله في ليلة القدر؟

الصحيح أن معناها: ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر، ولا شك أنّ ليلة القدر في رمضان، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فإذا جمعت هذه الآية أعني ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ إلى هذه الآية ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ تبين أن ليلة القدر في رمضان، وبهذا نعرف أن ما اشتهر عند بعض العامة من أن ليلة القدر هي ليلة النصف من شهر شعبان لا أصل له، ولا حقيقة له، فإن ليلة القدر في رمضان، وليلة النصف من شعبان كليلة النصف من رجب، وجمادى، وربيع، وصفر، والمحرم وغيرهن من الشهور لا تـختص بشيء، حتى ما ورد في فضل القيام فيها فهو أحاديث ضعيفة لا تقوم بها حجة، وكذلك ما ورد من تـخصيص يومها وهو يوم النصف من شعبان بصيام فإنها أحاديث ضعيفة لا تقوم بها حجة، لكن بعض العلماء ـ رحمهم الله ـ يتساهلون في ذكر الأحاديث الضعيفة فيما يتعلق بالفضائل: فضائل الأعمال، أو الشهور، أو الأماكن وهذا أمر لا ينبغي، وذلك لأنك إذا سقت الأحاديث الضعيفة في فضل شيء ما، فإن السامع سوف يعتقد أن ذلك صحيح، وينسبه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا شيء كبير، فالـمهم أن يوم

النصف من شعبان وليلة النصف من شعبان لا يختصان بشيء دون سائر الشهور، فليلة النصف لا تختص بفضل قيام، وليلة النصف ليست ليلة القدر، ويوم النصف لا يختص بصيام، نعم شهر شعبان ثبتت السنة بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر الصيام فيه حتى لا يفطر منه إلا قليلاً، وما سوى ذلك مما يتعلق بصيامه لم يثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا ما لسائر الشهور كفضل صوم ثلاثة أيام من كل شهر وأن تكون في الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وهي الأيام البيض.

وقوله تعالى ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فيه قولان:

الأول: القدر هو الشرف كما يقال (فلان ذو قدر عظيم، أو ذو قدر كبير) أي ذو شرف كبير.

الثاني: المراد بالقدر التقدير، لأنه يقدر فيها ما يكون في السنة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان].أي يفصل ويبين.

والصحيح أنه شامل للمعنيين، فليلة القدر لا شك أنها ذات قدر عظيم، وشرف كبير، وأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من الإحياء والإماتة والأرزاق وغير ذلك.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾:

هذه الجملة الاستفهامية بهذه الصيغة يستفاد منها التعظيم والتفخيم، أي ما أعلمك ليلة القدر وشأنها وشرفها وعظمها، وهي مطردة في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ [الانفطار]. وقال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقة] ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ [القارعة].

ثم بين هذا الاستفهام بقوله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ أي من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر، والمراد بالخيرية هنا ثواب العمل فيها، وما ينزل الله تعالى فيها من الخير والبركة على هذه الأمة، ولذلك كان من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ثم ذكر ما يحدث في تلك الليلة فقال: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾، أي تنزل شيئاً فشيئاً؛ لأن الملائكة سكان السموات، والسموات سبع فتتنزل الملائكة إلى الأرض شيئاً فشيئاً حتى تملأ الأرض، ونزول الملائكة في الأرض عنوان على الرحمة والخير والبركة.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ هو جبريل عليه السلام خصه الله بالذكر لشرفه وفضله، وقوله تعالى: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ أي بأمره، والمراد به الإذن الكوني؛ لأن إذن الله ـ أي أمره ـ ينقسم إلى قسمين:

إذن كوني، وإذن شرعي، فقوله تعالى: ﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، أي ما لم يأذن به شرعاً، لأنه قد أذن به قدراً، فقد شرع من دون الله، لكنه ليس بإذن الله الشرعي، وإذن قدري كما في هذه الآية: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ أي بأمره القدري.

وقوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ قيل إن ﴿مِن﴾ بمعنى الباء أي بكل أمر مما يأمرهم الله به، وهو مبهم لا نعلم ما هو، ولكن تنزل الملائكة في الأرض ليلة القدر عنوان على الخير والرحمة والبركة.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ الجملة هنا مكونة من مبتدأ وخبر، والخبر فيها مقدم، والتقدير: «هي سلام» أي هذه الليلة سلام، ووصفها الله تعالى بالسلام، لكثرة من يسلم فيها من الآثام وعقوباتها، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ

مِنْ ذَنْبِهِ» **أخرجه البخاري (حديث رقم ١٩٠١)**، ومغفرة الذنوب لا شك أنها سلامة من وبائها وعقوباتها.

﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ أي تتنزل الملائكة في هذه الليلة حتى مطلع الفجر، أي إلى مطلع الفجر، وإذا طلع الفجر انتهت ليلة القدر.

تنبيه:

سبق أن قلنا إن ليلة القدر في رمضان، لكن في أي جزء من رمضان أفي أوله، أو وسطه، أو آخره؟

نقول في الجواب على هذا: إن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ اعتكف العشر الأول، ثم العشر الأوسط تحرياً لليلة القدر، ثم قيل له: إنها في العشر الأواخر فاعتكف العشر الأواخر، إذن فليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان. وفي أي ليلة منها؟ الله أعلم قد تكون في ليلة إحدى وعشرين، أو في ليلة الثلاثين، أو فيما بينهما، فلم يأت تحديد لها في ليلة معينة كل عام، ولهذا أُري النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليلة القدر ليلة إحدى وعشرين ورأى في المنام أنه يسجد في صبيحتها في ماء وطين، فأمطرت السماء تلك الليلة أي ليلة إحدى وعشرين، فصلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في مسجده، وكان مسجده من عريش لا يمنع تسرب الماء من السقف، فسجد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ صباحها أي في صلاة الفجر في الماء والطين، ورأى الصحابة رضي الله عنهم على جبهته أثر الماء والطين، ففي تلك الليلة كانت في ليلة إحدى وعشرين، ومع ذلك قال: «فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعشر الْأَوَاخِرِ»، وفي رواية: «فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعشر الْأَوَاخِرِ فِي وِتْرٍ» **أخرجه البخاري (حديث رقم ٢٠١٤)، ومسلم (حديث رقم ٢٨٢٦)**، ورآها الصحابة ذات سنة من السنين في السبع الأواخر، فقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي الْعشر الْأَوَاخِرِ فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا مِنْ الْعشر الْأَوَاخِرِ» **أخرجه البخاري**

(**حديث رقم ١١٥٨**)، يعني في تلك السنة، أما في بقية الأعوام فهي في كل العشر، فليست معينة، ولكن أرجاها ليلة سبع وعشرين، وقد تكون (مثلاً) في هذا العام ليلة سبع وعشرين، وفي العام الثاني ليلة إحدى وعشرين، وفي العام الثالث ليلة خمس وعشرين وهكذا.. **وإنما أبهمها الله عَزَّوَجَلَّ لفائدتين عظيمتين:**

الفائدة الأولى: بيان الصادق في طلبها من المتكاسل، لأن الصادق في طلبها لا يهمه أن يتعب عشر ليال من أجل أن يدركها، والمتكاسل يكسل أن يقوم عشر ليال من أجل ليلة واحدة.

الفائدة الثانية: كثرة ثواب المسلمين بكثرة الأعمال؛ لأنه كلما كثر العمل كثر الثواب.

وفي هذه السورة الكريمة فضائل متعددة لليلة القدر:

الفضيلة الأولى: أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

الفضيلة الثانية: ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

الفضيلة الثالثة: أنها خير من ألف شهر.

الفضيلة الرابعة: أن الملائكة تتنزل فيها، وهم لا ينزلون فيها إلا بالخير والبركة والرحمة.

الفضيلة الخامسة: أنها سلام، لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

الفضيلة السادسة: أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة.

ومن فضائل ليلة القدر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، فقوله: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» يعني إيماناً بالله وبما أعد الله من الثواب للقائمين فيها، واحتساباً للأجر وطلب الثواب. وهذا حاصل لمن علم بها ومن لم يعلم، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشترط العلم بها في حصول هذا الأجر.

ما يستفاد من الآيات:

١- من فضائل ليلة القدر أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والاخرة.

٢- من فضائل ليلة القدر: ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

٣- من فضائل ليلة القدر أنها خير من ألف شهر.

٤ـ من فضائل ليلة القدر أن الملائكة تتنزل فيها، وهم لا ينزلون فيها إلا بالخير والبركة والرحمة.

٥- من فضائل ليلة القدر أنها سلام، لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

٦- من فضائل ليلة القدر أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة.

الأسئلة

س١: تكلم بإيجاز عن فضل ليلة القدر.

س٢: ما معنى قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؟

س٣: ما أقوال العلماء في تعيين ليلة القدر؟

سورة العلق
(مكية)

سميت في المصاحف وبعض كتب التفسير بهذا الاسم لوقوع لفظ العلق في أولها.

(النص الأول)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- تلقين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكلام القرآني وتلاوته إذ كان لا يَعرف التلاوة من قبل.

٢- الإيماء إلى أن علمه بذلك ميسر لأن الله الذي ألهم البشر العلم بالكتابة قادر على تعليم من يشاء ابتداء.

٣- الإيماء إلى أن أمته ستصير إلى معرفة القراءة والكتابة والعلم.

٤- توجيهه إلى النظر في خلق الله الموجودات وخاصة خلقه الإنسان خلقا عجيبا مستخرجا من علقة فذلك مبدأ النظر.

٥- تهديد من كذب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعرض ليصده عن الصلاة والدعوة إلى الهدى والتقوى.

٦- إعلام النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الله عالم بأمر من يناوؤنه وأنه قامعهم وناصر رسوله.

٧- تثبيت الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على ما جاءه من الحق والصلاة والتقرب إلى الله، وأن لا يعبأ بقوة أعدائه لأن قوة الله تقهرهم.

المعنى الإجمالي للآيات:

هذه الآيات أول ما نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام من القرآن الكريم، نزلت عليه وهو يتعبد في غار حراء، وكان رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أول ما بدأ بالوحي أنه يرى الرؤيا في المنام، فتأتي مثل فلق الصبح يعني يحدث ما يصدق هذه الرؤيا، وأول ما كان يرى هذه الرؤيا في ربيع الأول فبقي ستة أشهر يرى مثل هذه الرؤيا ويراها تجيء مثل فلق الصبح، وفي رمضان نزل الوحي الذي في اليقظة، والمدة بين ربيع الأول ورمضان ستة شهور، وزمن الوحي ثلاث وعشرون سنة، ولهذا جاء في الحديث «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ».

لما كان يرى هذه الرؤيا التي تجيء مثل فلق الصبح حُبب إليه الخلاء، يعني أن يخلو بنفسه ويبتعد عن هذا المجتمع الجاهلي، فرأى عليه الصلاة والسلام أن أحسن ما يخلو به هذا الغار الذي في جبل حراء وهو غار في قمة الجبل لا يكاد يصعد إليه الإنسان القوي إلا بمشقة، فكان يصعده عليه الصلاة والسلام ويتحنث، يتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بما فتح الله عليه في هذا الغار الليالي ذوات العدد، يعني عدة ليال، ومعه زاد أخذه يتزود به من طعام وشراب، ثم ينزل ويتزود لمثلها من أهله، ويرجع ويتحنث لله عَزَّوَجَلَّ، إلى أن نزل عليه الوحي وهو في هذا الغار، أتاه جبريل وأمره أن يقرأ فقال: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» ومعنى «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» يعني لست من ذوي القراءة، وليس مراده المعصية لأمر جبريل، لكنه لا يستطيع، ليس من ذوي القراءة، إذ إنه صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان أميًّا كما قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

فكان لا يقرأ ولا يكتب، وهذا من حكمة الله أنه لا يقرأ ولا يكتب، حتى تتبين حاجته وضرورته إلى هذه الرسالة، وحتى لا يبقى لشاك شك في صدقه، وقد أشار الله إلى هذه في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

قال له: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فغطه مرتين أو ثلاثاً، ثم قال له ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق].

خمس آيات نزلت فرجع بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجف فؤاده من الخوف والفزع حتى أتى إلى خديجة.

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾:

قوله: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ قيل معناه متلبساً بذلك، وقيل مستعيناً بذلك، يعني اقرأ مستعيناً باسم الله؛ لأن أسماء الله تعالى كلها خير، وكلها إعانة يستعين بها الإنسان، ويستعين بها على وضوئه، ويستعين بها على أكله، ويستعين بها على جماعه فهي كلها عون.

وقال: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ دون أن يقول باسم الله لأن المقام مقام ربوبية وتصرف وتدبير للأمور وابتداء رسالة، إلا أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رباه الله تعالى تربية خاصة ورباه كذلك ربوبية خاصة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي خلق كل شيء كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر:٦٢].

فما من شيء في السماء ولا في الأرض، من خفي وظاهر، وصغير وكبير إلا وهو مخلوق لله عَزَّوَجَلَّ ولهذا قال: ﴿خَلَقَ﴾ وحذف المفعول إشارة للعموم؛ لأن حذف المفعول يفيد العموم، إذ لو ذكر المفعول لتقيد الفعل به، لو قال خلق كذا تقيد الخلق بما ذكر فقط، لكن إذا قال ﴿خَلَقَ﴾ وأطلق صار عامًّا فهو خالق كل شيء جل وعلا.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾:

خص الله تعالى خلق الإنسان تكريماً للإنسان وتشريفاً له؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠].

فلهذا نص على خلق الإنسان ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أي ابتدأ خلقه ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾ جمع، أو اسم جمع علقة، كشجر اسم جمع شجرة.

والعلق عبارة عن دودة حمراء من الدم صغيرة، وهذا هو المنشأ الذي به الحياة؛ لأن الإنسان دم لو تفرغ من الدم لهلك.

وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ أنه خلق الإنسان من علق، ولكنه يتطور.

وبين في آيات أخرى أنه خلق الإنسان من تراب.

وفي آيات أخرى خلقه من طين.

وفي آيات أخرى من صلصال كالفخار.

وفي آيات أخرى من ماء دافق.

وفي آيات أخرى من ماء مهين.

وفي هذه الآية من علق.

فهل في هذا تناقض؟

الجواب: ليس هناك تناقض، ولا يمكن أن يكون في كلام الله تعالى، أو ما صح عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء من التناقض أبداً، فإن الله يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

لكنه سبحانه وتعالى يذكر أحياناً مبدأ الخلق من وجه، ومبدأ الخلق من وجه آخر فخلقه من تراب؛ لأن أول ما خلق الإنسان من التراب ثم صب عليه الماء فكان طيناً ثم استمر مدة فكان حمئاً مسنوناً، ثم طالت مدته فكان صلصالاً، يعني إذا ضربته بيدك تسمع له صلصلة كالفخار، ثم خلقه عَزَّوَجَلَّ لحماً، وعظماً، وعصباً إلى آخره، هذا ابتداء الخلق المتعلق بآدم.

والخلق الآخر من بني آدم، أول منشئهم من نطفة، وهي الماء المهين وهي الماء الدافق، هذه النطفة تبقى في الرحم أربعين يوماً، ثم تتحول شيئاً فشيئاً وبتمام الأربعين تتقلب بالتطور والتدريج حتى تكون دماً علقة، ثم تبدأ بالنمو والثخونة وتتطور شيئاً فشيئاً، فإذا تمت ثمانين يوماً انتقلت إلى مضغة ـ قطعة من لحم بقدر ما يمضغه الإنسان ـ وتبقى كذلك أربعين يوماً فهذه مائة وعشرون يوماً، وهي بالأشهر أربعة أشهر.

بعد أربعة أشهر يبعث الله إليه الملك الموكل بالأرحام، فينفخ فيه الروح، فتدخل الروح في الجسد بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، والروح لا نستطيع أن نعرف كنهها وحقيقتها ومادتها، أما الجسد فأصله من التراب، ثم في أرحام النساء من النطفة، لكن الروح لا نعرف من أي جوهر هي؟ ولا من أي مادة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

فينفخ الملك الروح في هذا الجنين فيبدأ يتحرك، لأن نماءه الأول كنماء الأشجار من دون إحساس، بعد أن تُنفخ فيه الروح يكون آدمياً يتحرك.

ولهذا إذا سقط الحمل من البطن قبل أربعة أشهر دفن في أي مكان من الأرض، من دون تغسيل، ولا تكفين، ولا صلاة عليه، ولا يبعث؛ لأنه ليس آدميًّا.

وبعد أربعة أشهر إذا سقط يجب أن يغسل، ويكفن، ويصلى عليه، ويدفن في المقابر؛ لأنه صار إنساناً، ويسمى أيضاً؛ لأنه يوم القيامة سيدعى باسمه، ويعق عنه.

ثم يأذن الله عَزَّوَجَلَّ له بعد المدة التي أكثر ما تكون عادة تسعة أشهر فيخرج إلى الدنيا. وبهذه المناسبة يتبيّن أن للإنسان أربعَ دور:

الدار الأولى: في بطن أمه. الدار الثانية: في الدنيا.

الدار الثالثة: في البرزخ. الدار الرابعة: في الجنة أو النار وهي المنتهى

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾:

﴿ٱقْرَأْ﴾ تكرار للأولى لكن هل هي توكيد أو هي تأسيس؟

الصحيح أنها تأسيس وأن الأولى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ قرنت بها يتعلق بالربوبية، و﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ قرنت بها يتعلق بالشرع، فالأولى بها يتعلق بالقدر، والثانية بها يتعلق بالشرع، لأن التعليم بالقلم أكثر ما يعتمد الشرع عليه، إذ إن الشرع يكتب ويحفظ، والقرآن يكتب ويحفظ، والسنة تكتب وتحفظ، وكلام العلماء، يكتب ويحفظ، فلهذا أعادها الله مرة ثانية.

ما يستفاد من الآيات:

١- لفظ اقرأ فيه الدعوة للعلم والقراءة والكتابة.

٢- بيان أطوار النطفة الإنسان في رحم أمه.

٣- شرف العلم والحث عليه.

٤- أول سورة نزلت على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: عبّر بأسلوبك الأدبي الخاص عن شرف العلم ومكانته.

س٣: تكلم عن شرف القلم، واذكر ما تعرف من كلام العلماء في أقسام الأقلام؟

س٤: ما تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾؟

س٥: ماذا يستفاد من الآيات؟

(النص الثاني)

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ
رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ
١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ
إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ
لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧
سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ١٩﴾

المعنى الإجمالي للآيات:

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾:

﴿كَلَّآ﴾ في القرآن الكريم ترد على عدة معانٍ، منها: أن تكون بـمعنى حقًّا كما في هذه الآية، يعني أن الله تعالى يثبت هذا إثباتاً لا مرية فيه.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾

الإنسان هنا ليس شخصاً معيناً، بل الـمراد الجنس، كل إنسان من بني آدم إذا رأى نفسه استغنى فإنه يطغى، من الطغيان وهو مـجاوزة الحد.

إذا رأى أنه استغنى عن رحمة الله طغى ولم يبالِ.

إذا رأى أنه استغنى عن الله عَزَّوَجَلَّ في كشف الكربات وحصول الـمطلوبات صار لا يلتفت إلى الله ولا يبالي.

إذا رأى أنه استغنى بالصحة نسي الـمرض.

وإذا رأى أنه استغنى بالشبع نسي الجوع.

إذا رأى أنه استغنى بالكسوة نسي العري.

وهكذا فالإنسان من طبيعته الطغيان والتمرد متى رأى نفسه في غنى، ولكن هذا يـخرج منه الـمؤمن، لأن الـمؤمن لا يرى أنه استغنى عن الله طرفة عين، فهو دائماً مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى، يسأل ربه كل حاجة، ويلجأ إليه عند كل مكروه، ويرى أنه إن وكله الله إلى نفسه وكله إلى ضعف وعجز وعورة، وأنه لا يـملك لنفسه نفعاً ولا ضًّرا، هذا هو الـمؤمن، لكن الإنسان من حيث هو إنسان من طبيعته الطغيان، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ثم قال عَزَّوَجَلَّ مهدداً هذا الطاغية ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ أي الـمرجع، يعني مهما طغيت وعلوت واستكبرت واستغنيت فإن مرجعك إلى الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية].

وإذا كان الـمرجع إلى الله في كل الأمور فإنه لا يـمكن لأحد أن يفر من قضاء الله أبداً، ولا من ثواب الله وعدله.

وقوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ ربـما هو أعم من الوعيد والتهديد لأنه يشملهما، ويشمل ما هو أعم فيكون الـمعنى أن إلى الله المرجع في كل الأمور:

- في الأمور الشرعية التحاكم إلى الكتاب والسنة ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

والأمور الكونية الـمرجع فيها إلى الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

فلا رجوع للعبد إلا إلى الله، كل الأمور ترجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، يفعل ما يشاء، حتى ما يحصل بين الناس من الحروب والفتن والشـرور فإن الله هو الذي قدرها، لكنه قدرها

لحكمة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ يعني أخبرني عن حال هذا الرجل وتعجب من حال هذا الرجل الذي ينهى عبداً إذا صلى، ففي الآية ناهٍ ومنهي، فالناهي هو طاغية قريش أبو جهل، وكان يسمى في قريش أبا الحكم؛ لأنهم يتحاكمون إليه، ويرجعون إليه فاغتر بنفسه، وشرق بالإسلام ومات على الكفر كما هو معروف، هذا الرجل سماه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا جهل ضد تسميتهم إياه أبا الحكم.

وأما المنهي فهو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو العبد ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ قيل لأبي جهل: إن محمداً يصلي عند الكعبة أمام الناس، يفتن الناس ويصدهم عن أصنامهم وآلهتهم، فمر به ذات يوم وهو ساجد فنهى النبي عليه الصلاة والسلام، وقال: لقد نهيتك فلماذا تفعل؟ فانتهره النبي عليه الصلاة والسلام فرجع، ثم قيل لأبي جهل إنه - أي محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مازال يصلي فقال: والله لئن رأيته لأطأن عنقه بقدمي، ولأعفرن وجهه بالتراب، فلما رآه ذات يوم ساجداً تحت الكعبة وأقبل عليه يريد أن يبر بيمينه وقسمه، لما أقبل عليه وجد بينه وبينه خندقاً من النار وأهوالاً عظيمة، فنكص على عقبيه وعجز أن يصل إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا العبد الذي ينهى عبداً إذا صلى يتعجب من حاله كيف يفعل هذا؟ ولهذا جاء في آخر الآيات ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ وأنه سيجازيه.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾

﴿أَرَءَيْتَ﴾ يعني أخبرني أيها المخاطب إن كان هذا الساجدَ محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الهدى فكيف تنهاه عنه.

﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾

قال بعض المفسرين ﴿أو﴾ هنا بمعنى الواو يعني وأمر بالتقوى، ولكن الصحيح أنها على بابها للتنويع، يعني أرأيت إن كان على الهدى فيما فعل من السجود والصلاة، أو أمر غيره بالتقوى؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بالتقوى بلا شك فهو صالح بنفسه مصلح لغيره.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾

يعني يرى المنهيَ الآمر بالتقوى ويرى هذا العبد الطاغية الذي ينهى عبداً إذا صلى ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهَّ يَرَى﴾ يرى سبحانه وتعالى علماً ورؤية، فهو سبحانه يرى كل شيء مهما خفي ودق، ويعلم كل شيء مهما بعد، ومهما كثر أو قل، فيعلم الأمر والناهي ويعلم المصلي والساجد، ويعلم من طغى، ومن خضع لله عَزَّوَجَلَّ، وسيجازي كل إنسان بعمله، والمقصود من هذا تهديد الذي ينهى عبداً إذا صلى، وبيان أن الله تعالى يعلم بحاله، وحال من ينهاه، وسيجازي كلاًّ منهما بما يستحق. فهذا تهديد لهذا الرجل الذي كان ينهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة، يعني ألم يعلم هذا الرجل أن الله تعالى يراه ويعلمه، وهو سبحانه وتعالى محيط بعمله، فيجازيه عليه إما في الدنيا، وإما في الدنيا والآخرة.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾

﴿كَلَّا﴾ هذه بمعنى حقًّا، ويحتمل أن تكون للردع، أي لردعه عن فعله السيئ الذي كان يقوم به تجاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾

جملة ﴿لَنَسْفَعًا﴾ جواب لقسم مقدر والتقدير: والله لئن لم ينته لنسفعن بالناصية.

ومعنى ﴿لَنَسْفَعًا﴾ أي: لنأخذن بشدة و(الناصية) مقدم الرأس، والمراد بها هنا ناصية أبي جهل الذي توعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صلاته ونهاه عنها، أي لنسفعن بناصيته، وهل المراد الأخذ بالناصية في الدنيا، أو في الآخرة يجر بناصيته إلى النار؟ يحتمل هذا وهذا، يحتمل أنه يؤخذ بالناصية، وقد أخذ بناصيته في يوم بدر حين قتل مع من قتل من المشركين، ويحتمل أن يكون يؤخذ بناصيته يوم القيامة فيقذف في النار كما قال الله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

وإذا كانت الآية صالحة لمعنيين لا يناقض أحدهما الآخر فإن الواجب حملها على المعنيين كليهما كما هو المعروف والذي قررناه سابقاً وهو أن الآية إذا كانت تحتمل معنيين لا ينافي أحدهما الآخر فالواجب الأخذ بالمعنيين كليهما.

﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾:

﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل من الناصية الأولى، وهي بدل نكرة من معرفة، وهي جائزة في اللغة العربية وإنما قال: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ من أجل أن يكون ذلك توطئة للوصف الآتي بعدها وهو قوله: ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾:

﴿كَاذِبَةٍ﴾ أي أنها موصوفة بالكذب، ولا شك أن من أكبر ما يكون كذباً ما يحصل من الكفار الذين يدعون أن مع الله آلهة أخرى، فإن هذا أكذب القول وأقبح الفعل.

﴿خَاطِئَةٍ﴾ أي مرتكبة للخطأ عمداً. وليعلم أن هناك فرقاً بين خاطئ ومخطئ، الخاطئ من ارتكب الـخطأ عمداً، والمخطئ من ارتكبه جهلاً، والثاني معذور، والأول غير معذور، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾[الحاقة: ٣٧].

أي الـمذنبون ذنباً عن عمد، وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فقال الله قد فعلت.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ اللام هنا للتحدي، يعني إن كان صادقاً وعنده قوة، وعنده قدرة فليدع ناديه. كما تقول لعدوك إن كان لك قوم فتقدم وما أشبه ذلك من الكلمات الدالة على التحدي.

والنادي هو مجتمع القوم للتحدث بينهم والتخاطب والتفاهم والاستئناس بعضهم ببعض، وكان أبو جهل معظمًا في قريش، وله نادي يـجتمع الناس إليه فيه، ويتكلمون في شؤونهم فهنا يقول الله عَزَّوَجَلَّ إن كان صادقاً فليدع ناديه.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ يعني عندنا من هم أعظم من نادي هذا الرجل وهم الزبانية ملائكة النار، وقد وصف الله ملائكة النار بأنهم غلاظ شداد، غلاظ في الطباع، شداد في القوة ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

بل يـمتثلون كل ما أمرهم الله به ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ لا يعجزون عن ذلك فوصفهم بوصفين أنهم في تـمام الانقياد لله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ وأنهم في تـمام القدرة ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وعدم تنفيذ أمر الله عَزَّوَجَلَّ إما أن يكون للعجز، وإما أن يكون للمعصية، فمثلاً الذي لا يصلي الفرض قائماً قد يكون للعجز، وقد يكون للعناد فهو لا ينفذ أمر الله، لكن الـملائكة الذين على النار ليس عندهم عجز، بل عندهم قوة وقدرة، وليس عندهم استكبار عن الأمر، بل عندهم تـمام التذلل والـخضوع،

هؤلاء الزبانية لا يـمكن لـهذا وقومه وناديه أن يقابلوهم أبداً ولـهذا قال: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾.

﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾:

يقال في ﴿كَلَّا﴾ ما قيل في الأولى التي قبلها.

والخطاب في قوله: ﴿لَا تُطِعۡهُ﴾ أي لا تطع هذا الذي ينهاك عن الصلاة، بل اسجد ولا تبالِ به، وإذا كان الله نهى نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يطيع هذا الرجل فهذا يعني أنه جل وعلا سيدافع عنه، يعني افعل ما تؤمر ولا يهمنك هذا الرجل، واسجد لله عَزَّوَجَلَّ، والمراد بالسجود هنا الصلاة، لكن عبر بالسجود عن الصلاة لأن السجود ركن في الصلاة لا تصح إلا به، فلهذا عبر به عنها.

﴿وَٱقۡتَرِب﴾: أي اقترب من الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الساجد أقرب ما يكون من ربه كما قال ذلك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حيث قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»، وقال عليه الصلاة والسلام: «أَلاَ وَ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»، أي حري أن يستجاب لكم.

هذه السورة (العلق) سورة عظيمة ابتدأها الله تعالى بـما منّ به على رسوله عليه الصلاة والسلام من الوحي، ثم اختتمها بالسجود والاقتراب من الله عَزَّوَجَلَّ.

ما يستفاد من الآيـات:

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بشروطه الشرعية.

٢- النهي عن طاعة المخلوق في معصية الله سبحانه وتعالى.

٣- الأمر بمداومة العبادة والطاعة والتقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات.

الأسئلة

س١: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾.

س٢: من أين تؤخذ نصرة الله لنبيه ودفاعه عنه وردّ كيد عدوه؟

س٣: ما التهديد الذي هدده أبو جهل للرسول عليه الصلاة والسلام وكيف دافع الله تعالى عن نبيه؟

س٤: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من النص؟

سورة التين
(مكية)

سميت بهذا الاسم لأن الله تعالى أقسم في أولها بالتين في قوله ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣
لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦ فَمَا
يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- احتوت هذه السورة على التنبيه بأن الله خلق الإنسان على الفطرة المستقيمة ليعلموا أن الإسلام هو الفطرة كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠].

٢- بيان أن ما يخالف أصوله بالأصالة أو بالتحريف فساد وضلال، ومتبعي ما يخالف الإسلام أهل ضلالة.

٣- التعريض بالوعيد للمكذبين بالإسلام.

٤- الإشارة بالأمور المقسم بها إلى أطوار الشرائع الأربعة إيماء إلى أن الإسلام جاء مصدقا لها وأنها مشاركة أصولها لأصول دين الإسلام.

٥- التنويه بحسن جزاء الذين اتبعوا الإسلام في أصوله وفروعه.

٥- الامتنان على الإنسان بخلقه على أحسن نظام في جثمانه ونفسه.

المعنى الإجمالي للسورة:

﴿التين﴾ هو التين المعروف، وكذلك ﴿الزَّيْتُونَ﴾ أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ أي: طور سيناء، محل نبوة موسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ وهي: مكة المكرمة، محل نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها وابتعث منها أفضل النبوات وأشرفها.

والمقسم عليه قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا، ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفاسف الأخلاق، فردهم الله في أسفل سافلين، أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم، إلا من منَّ الله عليه بالإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، ﴿فَلَهُمْ﴾ بذلك المنازل العالية، و ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، بل لذات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة، في أبد لا يزول، ونعيم لا يحول، أكلها دائم وظلها، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: أي شيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال، وقد رأيت من آيات الله الكثيرة ما به يحصل لك اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك أن لا تكفر بشيء مما أخبرك به، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟

أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة، لا بد أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمون.

ما يستفاد من الآيات:

١- أقسم الله بالتين والزيتون وطور سينين وبالبلد الأمين وفي هذا اهتمام بالمقسم به.

٢- خلق الإنسان تامَّ الخلق متساويَ الأعضاء في أتم صورة.

٣- الله أعدل الحاكمين حيث أرسل رسلا أقاموا الحجة وبيَّنوا الطريق ثم جعل للعباد يوما يفصل فيه بينهم.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما هي الأمور الثلاثة التي أقسم الله بـها؟

س٣: من أين يؤخذ التنويه بفضل مكة المكرمة ومكانتها؟

س٤: مَن المستثنى من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾؟

سورة الشرح
(مكية)

سميت هذه السورة بمصدر الفعل الواقع في أولها من قوله ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾
الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- احتوت على ذكر عناية الله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلطف الله له وإزالة الغم والحرج عنه، وتيسير ما عسر عليه، وتشريف قدره لينفس عنه.

٢- مضمونها شبيه بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتا له بتذكيره سالف عنايته به وإنارة سبيل الحق وترفيع الدرجة ليعلم أن الذي ابتدأه بنعمته ما كان ليقطع عنه فضله، وكان ذلك بطريقة التقرير بماض يعمله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- وأتبع ذلك بوعده بأنه كلما عرض له عسر فسيجد من أمره يسرا كدأب الله تعالى في معاملته فليتحمل متاعب الرسالة ويرغب إلى الله عونه.

المعنى الإجمالي للسورة:

يقول تعالى ممتنًا على رسوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي: نوسعه لشرائع الدين والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات فلم يكن ضيقًا حرجًا، لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطًا.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: ذنبك، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ﴾ أي: أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾ كما قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيًا عن أمته.

وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

وكما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا».

وتعريف «العسر» في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير «اليسر» يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين.

وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ فإنه في آخره التيسير ملازم له.

ثم أمر الله رسوله أصلا والمؤمنين تبعًا، بشكره والقيام بواجب نعمه، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وحده ﴿فَٱرْغَب﴾ أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك. ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين.

وقد قيل: إن معنى قوله: فإذا فرغت من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال مطالبك.

واستدل من قال بهذا القول، على مشروعية الدعاء والذكر عقب الصلوات المكتوبات.

ما يستفاد من الآيـات:

١- في قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي: نوسعه، وهذا الشرح شرح معنوي، ليس شرحاً حسيًّا، وشرح الصدر أن يكون متسعاً لـحكم الله عَزَّوَجَلَّ بنوعيه.

٢- يجب علينا أن نهتم بأنفسنا وأن نـحاسبها على طاعة الله وعلى التقصير في أدائها.

٣- شرح الصدر نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على المسلم.

الأسئلة

س١ : اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢ : ما المنن التي امتنَّ الله تعالى بها على نبيه في هذه السورة؟

س٣: كيف شرح الله تعالى صدر نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؟

س٤ : ما تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾؟

س٥ : اذكر فائدتين تؤخذ من الآيات الكريمات.

سورة الضحى
(مكية)

سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير سورة الضحى وقد جاءت في كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جابر أنه قال قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفتان أنت يا معاذ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى والضحى وإذا السماء انفطرت. [أخرجه النسائي (٩٩٧) وانظر صحيح النسائي للألباني (١/ ٣١٥)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ
۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ
۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد انقطع عنه.

٢- البشارة بأن الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة والأولى، وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه، وذلك يغيظ المشركين.

٣- ثم ذَكَّره الله بما حفه به من ألطافه وعنايته في صباه وفي فُتُوَّتِه وفي وقت اكتهاله وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده وثناء على الله بما هو أهله.

سبب نزول السورة:

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن جندب بن سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: اشتكى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأةٌ فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

المعنى الإجمالي للسورة:

﴿وَالضُّحَى﴾ (الضحى) هو أول النهار، وفيه النور والضياء.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: الليل إذا غطى الأرض وسدل عليها ظلامه، فأقسم الله تعالى بشيئين متباينين:

أولهما: الضحى وفيه الضياء والنور، والثاني: الليل إذا يغشى وفيه الظلمة.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي ما تركك.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: وما أبغض، بل أحب الخلق إليه فيما نعلم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا اختاره الله لأعظم الرسالات، وأفضل الأمم، وجعله خاتم النبيين، فلا نبي بعده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول عَزَّوَجَلَّ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

فعين الله تعالى تكلأه وترعاه وتحميه وتحفظه، وهو الذي قال له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء].

فما تركه الله عَزَّوَجَلَّ بل أحاطه بعلمه، ورحمته، وعنايته وغير ذلك مما يقتضي رفعته في الدنيا والآخرة. كما قال في السورة التي تليها: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾[الشرح:٤].

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾

هذه الجملة مؤكدة بلام الابتداء و﴿الآخرة﴾ هي اليوم الذي يبعث فيه الناس، ويأوون إلى مثواهم الأخير إلى الجنة أو إلى النار، فيقول الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾

أي: من الدنيا، وذلك لأن الآخرة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وموضع سوط أحدنا في الجنة خير من الدنيا وما فيها، كما جاء ذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولهذا لما خيَّر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه بين أن يعيش في الدنيا ما يعيش وبين ما عند الله، اختار ما عند الله، كما أعلن ذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبته حيث قال وهو على المنبر: «إن عبداً من عباد الله خيَّره الله بين أن يعيش في الدنيا ما شاء الله أن يعيش وبين ما عنده فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتعجب الناس من بكائه كيف يبكي من هذا، ولكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أعلم الناس برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. علم أن المخيَّر هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه اختار ما عند الله وهو الآخرة، وأن هذا إيذان بقرب أجله.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾

﴿وَلَسَوْفَ﴾ اللام هذه أيضاً للتوكيد وهي موطئه للقسم، و﴿سوف﴾ تدل على تحقق الشيء لكن بعد مهلة وزمن.

﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ أي يعطيك ما يرضيك فترضى، ولقد أعطاه الله ما يرضيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله تعالى يبعثه يوم القيامة مقاماً محموداً، يحمده فيه الأولون والآخرون، حتى الأنبياء وأولو العزم من الرسل لا يستطيعون الوصول إلى ما وصل إليه.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾

والاستفهام هنا للتقرير، يعني قد وجدك الله تعالى يتيماً فآواك، يتيماً من الأب، ويتيماً من الأم، فإن أباه توفي قبل أن يولد، وأمه توفيت قبل أن تُتِمَّ إرضاعه، ولكن الله تعالى تكفل به ويسر له من يقوم بتربيته والدفاع عنه، حتى وصل إلى الغاية التي أرادها الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ وجاء التعبير ـ والله أعلم ـ بـ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ لسبب لفظي، وسبب معنوي:

أما السبب اللفظي: فلأجل أن تتوافق رؤوس الآيات من أول السورة.

وأما السبب المعنوي: فإنه لو كان التعبير (فآواك) اختص الإيواء به صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والأمر أوسع من ذلك، فإن الله تعالى آواه، وآوى به، آوى به الـمؤمنين فنصرهم وأيدهم، ودفع عنهم بل دافع عنهم سبحانه وتعالى.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ أي غير عالم؛ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يكن يعلم شيئاً قبل أن ينزل عليه الوحي، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ النساء:[١١٣].

وقال: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

فهو صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يكن يعلم شيئاً بل هو من الأميين ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

لا يقرأ ولا يكتب، لكن وصل إلى هذه الغاية العظيمة بالوحي الذي أنزله الله عليه، فعلم وعلَّم.

وهنا قال ﴿فَهَدَىٰ﴾ ولم يأت التعبير ـ والله أعلم ـ فهداك، ليكون هذا أشمل وأوسع فهو قد هدى عليه الصلاة والسلام، وهدى الله به، فهو هاد مهدي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. إذاً فهدى أي فهداك وهدى بك.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾

أي وجدك فقيراً لا تملك شيئاً ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ أي أغناك وأغنى بك، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ٢٠].

وما أكثر ما غنم المسلمون من الكفار تحت ظلال السيوف، غنائم عظيمة كثيرة كلها بسبب هذا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حين اهتدوا بهديه، واتبعوا سنته فنصرهم الله تعالى به وغنموا من مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن الأمة الإسلامية عادت إلى ما كان عليه السلف الصالح لعاد النصر إليهم، والغنى، والعزة، والقوة. ولكن مع الأسف أن الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر كل منها ينظر إلى حظوظ نفسه بقطع النظر عما يكون به نصرة الإسلام أو خذلان الإسلام. ولكن المسلمين يحتاجون إلى قيادة حكيمة عليمة بأحكام الشريعة قبل كل شيء، لأن القيادة بغير الاستفادة بنور الشريعة عاقبتها الوبال، مهما علت ولو علت إلى أعلى قمة فإنها سوف تنزل إلى أسفل قعر. الهداية بالإسلام، بنور الإسلام، لا بالقومية، ولا بالعصبية، ولا بالوطنية ولا بغير ذلك، بالإسلام فقط. فالإسلام وحده هو الكفيل بعزة الأمة، لكن تحتاج إلى قيادة حكيمة تضع الأشياء مواضعها، وتتأنى في الأمور ولا تستعجل، لا يمكن أن يصلح الناس بين عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فإنه قد أراد أن يغير الله سنته، والله سبحانه وتعالى لا يغير سنته، فهذا نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقي في مكة ثلاث عشرة سنة ينزل عليه الوحي، ويدعو إلى الله بالتي هي أحسن، ومع ذلك في النهاية خرج من مكة خائفاً مختفياً لم تتم الدعوة في مكة، فلماذا نريد أن نغير الأمة التي مضى عليها قرون وهي في غفلة وفي نوم بين عشية وضحاها، هذا سفه في العقل، وضلال في الدين. الأمة تحتاج إلى علاج رفيق هادئ يدعو بالتي هي أحسن، الأمة الإسلامية تحتاج بعد الفقه في دين الله والحكمة في الدعوة إلى الله، تحتاج إلى العلم بالواقع والفطنة والخبرة، ونظر في الأمور التي تحتاج إلى نظر بعيد، لأن النتائج قد لا تتبين في شهر، أو شهرين، أو سنة، أو سنتين، لكن العاقل يصبر وينظر ويتأمل حتى

يعرف، والأمور تحتاج أيضاً إلى عزم وتصميم وصبر؛ لأنه لابد من هذا لابد من عزم يندفع به الإنسان، ولابد من صبر يثبت به الإنسان وإلا لفاتت الأمور أو فات كثير منها والله المستعان.

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ هذا في مقابلة ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾

فإذا كان الله آواك في يتمك فلا تقهر اليتيم، بل أكرم اليتيم، والإحسان إلى اليتامى وإكرامهم من أوامر الشريعة ومن حسنات الشريعة، لأن اليتيم الذي مات أبوه قبل أن يبلغ منكسر الخاطر، يحتاج إلى جبر، يحتاج إلى من يسليه، وإلى من يدخل عليه السرور ولاسيّما إذا كان قد بلغ سنًّا يعرف بها الأمور كالسابعة والعاشرة وما أشبه ذلك.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ هذا في مقابل ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾

أول ما يدخل في السائل، السائل عن الشريعة عن العلم لا تنهره؛ لأنه إذا سألك يريد أن تبين له الشريعة وجب عليك أن تبينها له لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران: ١٨٧].

لا تنهره إن نهرته نفرته، ثم إنك إذا نهرته وهو يعتقد أنك فوقه؛ لأنه لم يأت يسأل إلا أنه يعتقد أنك فوقه، إذا نهرته وهو يشعر أنك فوقه، أصابه الرعب واختلفت حواسه، وربما لا يفقه ما يلقي إليك من السؤال، أو لا يفقه ما تلقيه إليه من الجواب، وقس نفسك أنت لو كلمت رجلاً أكبر منك منزلة ثم نهرك، ضاعت حواسك، ولم تستطع أن ترتب فكرك وعقلك، لهذا لا تنهر السائل.

وربما يدخل في ذلك أيضاً سائل المال، يعني إذا جاءك سائل يسألك مالاً فلا تنهره، لكن هذا العموم يدخله التخصيص:

إذا عرفت أن السائل في العلم إنما يريد التعنت، وأخذ رأيك وأخذ رأي فلان وفلان حتى يضرب آراء العلماء بعضها ببعض، فإذا علمت ذلك فهنا لك الحق أن تنهره، لأن هذا النهر تأديب له. وأن تقول: يا فلان اتق الله ألم تسأل فلاناً كيف تسألني بعدما سألته؟! أتلعب بدين الله؟! أتريد إن أفتاك الناس بما تحب سكتّ، وإن أفتوك بما لا تحب ذهبت تسأل؟!

وكذلك سائل المال إذا علمت أن الذي سألك المال غني فلك الحق أن تنهره ولك الحق أيضاً أن توبخه على سؤاله وهو غني، إذاً هذا العموم ﴿ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ مخصوص فيما إذا اقتضت المصلحة أن ينهر فلا بأس.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

نعمة الله تعالى على الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ التي ذكرت في هذه الآيات ثلاث ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَى﴾ وبهذه الثلاث تتم النعم.

حدث بنعمة الله قل: كنت يتيماً فآواني الله، كنت ضالاً فهداني الله، كنت عائلاً فأغناني الله، لكن تحدث بها إظهاراً للنعمة وشكراً للمنعم، لا افتخاراً بها على الخلق؛ لأنك إذا فعلت ذلك افتخاراً على الخلق كان هذا مذموماً. أما إذا قلت أو إذا ذكرت نعمة الله عليك تحدثاً بالنعم، وشكراً للمنعم فهذا مما أمر الله به.

ما يستفاد من الآيـات:

١- أقسم الله تعالى بالضحى وبالليل إذا غطى بظلامه كل شيء أنه تعالى ما ترك نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وما كرهه بل هو صاحب المنزلة العالية الرفيعة..

٢- وعد الله تعالى لنبيه أنه سيرضيه في أمته في الآخرة ويعطيه الفضل العظيم.

٣- حرمة نهر السائل وزجره أو سبه وشتمه.

٤- وجوب شكر النعم بصرفها في مرضاة المنعم عَزَّوَجَلَّ.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما سبب نزول سورة الضحى؟

س٣: ما معنى قوله تعالى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾؟

س٤: ما النعم التي ذكّر الله تعالى بها نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في السورة؟

س٥: تحدث باختصار عن مضمون قوله تعالى﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

س٦: ما الذي يؤخذ ويُستفاد من السورة؟

سورة الليل
(مكية)

سميت في المصاحف وفي معظم كتب التفسير لافتتاحها بالقسم الإلهي بالليل.

(النص الأول)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ
۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ
۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ
۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ ﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- احتوت على بيان شرف المؤمنين وفضائل أعمالهم ومذمة المشركين ومساويهم وجزاء كل منهم.

٢- أن الله يهدي الناس إلى الخير فهو يجزي المهتدين بخير الحياتين والضالين بعكس ذلك.

٣- أنه أرسل رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتذكير بالله وما عنده فينتفع من يخشى فيُفْلح ويُصرَف عن الذكرى من كان شقيا فيكون جزاؤه النار الكبرى وأولئك هم الذين صدهم عن التذكر إيثار حب ما هم فيه في هذه الحياة.

٤- الإشارة إلى دلائل قدرة الله تعالى وبديع صنعه.

المعنى الإجمالي للآيات:

هذا قسم من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد على تفاوت أحوالهم، فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، أي: يعمَّ الخلق بظلامه، فيسكن كل إلى مأواه ومسكنه، ويستريح العباد من الكد والتعب.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ للخلق، فاستضاؤوا بنوره، وانتشروا في مصالحهم.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ إن كانت " ما " موصولة، كان إقسامًا بنفسه الكريمة الموصوفة، بأنه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية، كان قسمًا بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في ذلك أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد بقاءها ذكرًا وأنثى، ليبقى النوع ولا يضمحل، وقاد كلا منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلا منهما مناسبًا للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ هذا ﴿هو﴾ المقسم عليه أي: إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوتا كثيرًا، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، هل هو وجه الله الأعلى الباقي؟ فيبقى السعي له ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطلانها، ويضمحل باضمحلالها؟

وهذا كل عمل يقصد به غير وجه الله تعالى، بهذا الوصف، ولهذا فصل الله تعالى العاملين، ووصف أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾، أي: ما أمر به من العبادات المالية، كالزكوات، والكفارات والنفقات، والصدقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية كالصلاة، والصوم ونحوهما. والمركبة منهما، كالحج والعمرة ونحوهما.

﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ما نهي عنه، من المحرمات والمعاصي، على اختلاف أجناسها.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: صدق بـ «لا إله إلا الله وما دلت عليه، من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ أي: نسهل عليه أمره، ونجعله ميسرا له كل خير، ميسرًا له ترك كل شر، لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله، ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ عن الله، فترك عبوديته جانبًا، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: بما أوجب الله على العباد التصديق به من العقائد الحسنة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسرًا للشر أينما كان، ومقيضًا له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية.

﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ﴾ الذي أطغاه واستغنى به، وبخل به إذا هلك ومات، فإنه لا يصحبه إلا عمله الصالح.

وأما ماله (الذي لم يخرج منه الواجب) فإنه يكون وبالا عليه، إذ لم يقدم منه لآخرته شيئًا.

ما يستفاد من الآيــات:

١- لله عَزَّوَجَلَّ أن يقسم بما شاء من مخلوقاته. وليس لأحد من الخلق أن يقسم بغير الله عَزَّوَجَلَّ.

٢- أعمال البشر متفاوتة فمنهم من يعمل بطاعة الله فهذا فائز رابح ومنهم من يعمل لدنياه وهواه وهذا خاسر.

٣- تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن كلا ميسر لما خلق له بخلاف الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة.

٤- الحث على السخاء والإنفاق في سبيل الله.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: لماذا أقسم الله تعالى بالليل والنهار؟

س٣: تحدّث بالتفصيل عن معنى قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

س٤: من أين يؤخذ أن المال إذا لم يُنفق في سبيل الله فإنه لا يُغني من عذاب الله شيئاً؟

س٥: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من النص؟

(النص الثاني)

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾

المعنى الإجمالي للآيات:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي: إن الهدى المستقيم طريقه، يوصل إلى الله، ويدني من رضاه، وأما الضلال فطرق مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ ملكًا وتصرفًا، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ أي: تستعر وتتوقد.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ﴾ بالخبر ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الأمر.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصدًا به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاقُ المستحبُ تركَ واجبٍ، كدَينٍ ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا وقد كافأه بها، وربما بقي له الفضل والمنة على الناس، فتمحض عبدًا لله،

لأنه رقيق إحسانه وحده، وأما من بقي عليه نعمة للناس لم يجزها ويكافئها، فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص إخلاصه.

وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت في سببه، فإنه رضي الله عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزى، حتى ولا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى.

ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات.

ما يستفاد من الآيات:

١ - التحذير من النار وأنها مصير المكذبين بالرسل.

٢ - على المسلم أن يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل الطاعات وترك المنكرات.

٣ - من صفات المؤمنين أنهم يبذلون أموالهم لله لا رياء ولا سمعة طيبة بها نفوسهم.

٤ - الإخلاص في الأعمال شرط لقبولها.

الأسئلة

س١: ما الطريق الذي يتبعه المؤمن إذا أراد أن يُيسر لليسرى؟

س٢: فيمن نزل قوله تعالى﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾؟ وماذا كان يفعل؟

س٣: ما الآية الدالة على وجوب إخلاص الأعمال لله تعالى؟

سورة الشمس
(مكية)

سميت هذه السورة باسم سورة الشمس في المصاحف وفي معظم كتب التفسير لافتتاحها بقسم الله تعالى بالشمس.

(النص الأول)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا
٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا
طَحَىٰهَا ٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا
٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- تهديد المشركين بأنهم يوشك أن يصيبهم عذاب بإشراكهم وتكذيبهم برسالة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كما أصاب ثمودا بإشراكهم وعتوهم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الذي دعاهم إلى التوحيد.

٢- وقدم لذلك تأكيدَ الخبر بالقسم بأشياءَ مُعظَّمة وذَكر من أحوالها ما هو دليل على بديع صنع الله وأنه منفرد بالإلهية.

المعنى الإجمالي للآيات:

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾:

أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وهو ضوؤها لما في ذلك من الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى، وكمال علمه ورحمته. فإن في هذه الشمس من الآيات ما لا يدركه بعض الناس، فإذا طلعت الشمس فكم توفر على العالم من طاقة كهربائية؟ توفر آلاف الملايين، لأنهم يستغنون بها عن هذه الطاقة، وكم يحصل للأرض من حرارتها، من نضج الثمار، وطيب الأشجار، ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ويحصل فيها فوائد كثيرة لا نستطيع أن نعدها؛ لأن غالبها يتعلق في علم الفلك وعلم الأرض والجيولوجيا لكنها من آيات الله العظيمة.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾. قيل: إذا تلاها في السير.

وقيل: إذا تلاها في الإضاءة، ومادامت الآية تحتمل هذا وهذا فإن القاعدة في علم التفسير أن الآية إذا احتملت معنيين لا تعارض بينهما وجب الأخذ بكلا المعنيين، لأن الأخذ بالمعنيين كليهما أوسع للمعنى. فنقول: إذا تلاها في السير؛ لأن القمر يتأخر كل يوم عن الشمس، فبينما تجده في أول الشهر قريباً منها في المغرب، إذا هو في نصف الشهر أبعد ما يكون عنها في المشرق، لأنه يتأخر كل يوم. أو إذا تلاها في الإضاءة، لأنها إذا غابت بدأ ضوء القمر ولاسيما في الربع الثاني إلى نهاية الربع الثالث فإن ضوء القمر يكون بيناً واضحاً. يعني: إذا مضى سبعة أيام إلى أن يبقى سبعة أيام يكون الضوء قويًّا، وأما في السبعة الأولى والأخيرة فهو ضعيف، وعلى كل حال فإن إضاءة القمر لا تكون إلا بعد ذهاب ضوء الشمس كما هو ظاهر. فأقسم الله تعالى بالشمس لأنها آية النهار، وبالقمر لأنه آية الليل.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ متقابلات.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾

إذا جلى الأرض وبينها ووضحها؛ لأنه نهار تتبين به الأشياء وتتضح

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾:

إذا غطَّي الأرض حتى يكون كالعباءة المفروشة على شيء من الأشياء، وهذا يتضح جلياً فيما إذا غابت الشمس وأنت في الطائرة تجد أن الأرض سوداء تحتك، لأنك أنت الآن تشاهد الشمس لارتفاعك، لكن الأرض التي تحتك حيث غربت عليها الشمس تجدها سوداء كأنها مغطاة بعباءة سوداء وهذا معنى قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾ السماء والأرض متقابلات.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾

قال المفسرون: إن ﴿مَا﴾ هنا مصدرية أي: والسماء وبنائها؛ لأن السماء عظيمة بارتفاعها وسعتها وقوتها، وغير ذلك مما هو من آيات الله فيها، وكذلك بناؤها بناء محكم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾[الملك: ٣ ٤].

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾

يعني: الأرض وما سواها حتى كانت مستوية، ليست لينة جداً، وليست قوية صلبة جداً، بل هي مناسبة للخلق على حسب ما تقوم به حوائجهم، وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالى على عباده أن سوَّى لهم الأرض وجعلها بين اللين والخشونة إلا في مواضع لكن هذا القليل لا يحكم به على الكثير.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾

نفس هنا وإن كانت واحدة لكن المراد العموم. يعني كل نفس.

﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ يعني سواها خِلقة وسواها فطرة، سواها خلقة حيث خلق كل شيء على الوجه الذي يناسبه ويناسب حاله. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ أي خلقه المناسب له ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: ٥٠]. أي: هداه لـمصالحه، وكذلك سواه فطرة ولا سيما البشر فإن الله جعل فطرتهم هي الإخلاص والتوحيد كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠].

﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ أي الله عَزَّوَجَلَّ ألهم هذه النفوس.

﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ بدأ بالفجور قبل التقوى مع أن التقوى لا شك أفضل، قالوا: مراعاة لفواصل الآيات.

﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ الفجور هو ما يقابل التقوى، والتقوى طاعة الله، فالفجور معصية الله، فكل عاص فهو فاجر. وإن كان الفاجر خصَّ عرفاً بأنه من ليس بعفيف، لكن هو شرعاً يعم كل من خرج عن طاعة الله كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧] والمراد الكفار. وإلهامها تقواها هو الموافق للفطرة؛ لأن الفجور خارج عن الفطرة، لكن قد يلهمه الله بعض النفوس لانحرافها لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥].

والله تعالى لا يظلم أحدًا، لكن من علم منه أنه لا يريد الحق أزاغ الله قلبه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ أي: فاز بالمطلوب ونـجا من المرهوب.

﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي: من زكى نفسه، وليس المراد بالتزكية هنا التزكية المنهي عنها في قوله: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢].

المراد بالتزكية هنا: أن يزكي نفسه بإخلاصها من الشرك وشوائب المعاصي، حتى تبقى زكية طاهرة نقية.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾

أي من أرداها في المهالك والمعاصي، وهذا يحتاج إلى دعاء الله سبحانه وتعالى أن يثبت الإنسان على طاعته، وعلى القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. فعليك دائماً أن تسأل الله الثبات والعلم النافع، والعمل الصالح فإن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ما يستفاد من الآيات:

١ - أقسم الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآيات ببعض المظاهر الكونية الدالة على عظمة الله وقدرته.

٢- الربح والفوز لمن طهر نفسه بالتقوى.

٣- الخسران لمن أوقع نفسه بالمعاصي وأخفاها بالكفر والفسوق.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: اكتب ما تعرف في معنى قوله تعالى﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾.

س٣: اذكر ما يستفاد من الآيات.

(النص الثاني)

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ⑪ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ⑬ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ⑭ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ⑮﴾

المعنى الإجمالي للآيات:

ثمود اسم قبيلة ونبيهم صالح عليه الصلاة والسلام، وديارهم في الحجر معروفة في طريق الناس، هؤلاء كذبوا نبيهم صالحًا. ونبيهم صالح عليه الصلاة والسلام كغيره من الأنبياء يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأعطاه الله سبحانه آية تدل على نبوته وهي الناقة العظيمة التي تشرب من البئر يوماً وتسقيهم لبناً في اليوم الثاني. وقد قال بعض العلماء: إنه كلما جاء إنسان وأعطاها من الماء بقدر أعطته من اللبن بقدره، ولكن الذي يظهر من القرآن خلاف ذلك. لقوله تعالى: ﴿لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

فالناقة تشرب من البئر يوماً، ثم تدر اللبن في اليوم الثاني، ولكن لم تنفعهم هذه الاية: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾

أي بطغيانها وعتوها، والباء هنا للسببية، أي: بسبب كونها طاغية كذبت الرسول.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾

هذا بيان للطغيان الذي ذكره الله عَزَّوَجَلَّ وذلك حين انبعث أشقاها.

و﴿ٱنۢبَعَثَ﴾ يعني: انطلق بسرعة.

﴿أَشْقَىٰهَا﴾ أي أشقى ثمود أي: أعلاهم في الشقاء ـ والعياذ بالله ـ يريد أن يقضي على هذه الناقة.

فقال لهم صالح: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ أي: ذروا ناقة الله، لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣]. يعني اتركوا الناقة لا تقتلوها ولا تتعرضوا لها بسوء ولكن كانت النتيجة بالعكس.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: كذبوا صالحاً وقالوا: إنك لست برسول، وهكذا كل الرسل الذين أرسلوا إلى أقوامهم يصمهم أقوامهم بالعيب. كما قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

كل الرسل قيل لهم هذا ساحر أو مجنون، كما قيل للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه ساحر، كذاب، مجنون، شاعر، كاهن، ولكن ألقاب السوء التي يلقبها الأعداء لأولياء الله لا تضرهم، بل يزدادون بذلك رفعة عند الله سبحانه وتعالى، وإذا احتسبوا الأجر أثيبوا على ذلك فيقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عقروا الناقة عقراً حصل به الهلاك.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ يعني: أطبق عليهم فأهلكهم كما تقول: دمدمت البئر: أي أطبقت عليها التراب.

﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: بسبب ذنوبهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون، فالذنوب سبب للهلاك والدمار والفساد لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وقال الله تعالى يخاطب أشرف الخلق وخير القرون: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فالإنسان يصاب بالمصائب من عند نفسه، ولهذا قال:

﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ﴾ أي: بسبب ذنبهم.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: عمها بالهلاك حتى لم يبق منهم أحد وأصبحوا في ديارهم جاثمين.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا﴾

يعني: أن الله لا يخاف من عاقبة هؤلاء الذين عذبهم، ولا يخاف من تبعتهم، لأن له الملك وبيده كل شيء، بخلاف غيره من الملوك لو انتصروا على غيرهم، أو عاقبوا غيرهم تجدهم في خوف يخشون أن تكون الكرة عليهم. أما الله عَزَّوَجَلَّ فإنه لا يخاف عقباها. أي: لا يخاف عاقبة من عذبهم، لأنه سبحانه وتعالى له الملك كله، والحمد كله، فسبحانه وتعالى ما أعظمه، وما أجل سلطانه.

ما يستفاد من الآيات:

١- الحذر والتحذير من تكذيب الأنبياء والرسل.

٢- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أشقى قوم صالح أقدم على قتل الناقة وقومه راضون عنه وعن فعله فهلك وهلكوا فلو أمروه بالمعروف ونهوه عن المنكر لنجوا ونجا.

٣- نصرة الله تعالى لأنبيائه وانتقامه من أعدائه وأعداء رسله.

٤- بيان أن المعصية إذا عمت واشترك فيها الكل فإن العذاب يعم الكل، وأن الله تعالى غني عن عباده إذا عصوه ولم يتبعوا رسله.

الأسئلة

س١ : من النبي الذي أرسل إلى قوم ثمود؟ وما معجزته؟

س٢ : لماذا عمّ العذاب جميع القوم ولم يقتصر على قدار بن سالف؟

س٣: اذكر ما يؤخذ من الآيات من فوائد.

سورة البلد
(مكية)

سميت بهذا الاسم لأن الله تعالى أقسم في أولها بالبلد الحرام في قوله ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾

(النص الأول)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- حوت من المقاصد التنويه بمكة. وبمقام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، وبركته فيها وعلى أهلها.

٢- التنويه بأسلاف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سكانها الذين كانوا من الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل أو من أتباع الحنيفية مثل عدنان ومضر.

٣- ذم سيرة أهل الشرك، وإنكارهم البعث، وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه، وما أهملوه من شكر النعمة.

٤- وفيها بيان وعيد الكافرين وبشارة الموقنين.

المعنى الإجمالي للآيات:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾

﴿لَآ﴾ للاستفتاح، أي: استفتاح الكلام وتوكيده، وليست نافية، لأن المراد إثبات القسم، يعني أنا أقسم بهذا البلد لكن (لاَ) هذه تأتي هنا للتنبيه والتأكيد و﴿أُقۡسِمُ﴾ القسم تأكيد الشيء بذكر معظم على وجه مخصوص. فكل شيء محلوف به لابد أن يكون معظماً لدى الحالف، وقد لا يكون معظمًا في حد ذاته. فمثلاً الذين يحلفون باللات والعزى هي معظمة عندهم، لكن هي في الواقع ليست عظيمة ولا معظمة. فالحلف، أو القسم، أو اليمين المعنى واحد، هي تأكيد الشيء بذكر معظم عند الحالف على صفة مخصوصة. وحروف القسم هي: الباء، والواو، والتاء، والذي في الآية الكريمة هنا ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ (الباء).

﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، البلد هنا مكة، وأقسم الله بها لشرفها وعظمها، فهي أعظم بقاع الأرض حرمة وأحب بقاع الأرض إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا بعث منها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه، فجدير بهذا البلد الأمين أن يقسم به.

ولكن نحن لا نقسم به، لأنه مخلوق، وليس لنا الحق أن نقسم بمخلوق. كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ»، أما الله عَزَّوَجَلَّ فإنه سبحانه يقسم بما شاء، ولهذا أقسم هنا بمكة ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾.

قيل المعنى: أقسم بهذا البلد حال كونك حالاً فيه، لأن حلول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة يزيدها شرفاً إلى شرفها.

وقيل المعنى: وأنت تستحل هذا البلد، فيكون إقسام الله تعالى بمكة حال كونها حلاً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك عام الفتح؛ لأن مكة عام الفتح أُحلت للرسول عليه الصلاة والسلام ولم تحل لأحد قبله، ولا تحل لأحد بعد ذلك، كما قال عليه الصلاة والسلام: «وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ» فيكون إقسام الله تعالى بهذا البلد مقيداً بما إذا كانت حلاً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفتح؛ لأنها في ذلك اليوم تزداد شرفاً إلى شرفها، حيث طُهِّرت من الأصنام وهزم المشركون، وفتحت عليهم بلادهم عنوة، وصارت هذه البلد بعد أن كانت بلد كفر صارت بلاد إيمان، وبعد أن كانت بلاد شرك صارت بلاد توحيد، وبعد أن كانت بلاد عناد صارت بلاد إسلام، فأشرف حال لمكة كانت عند الفتح.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾

يعني وأقسم بالوالد وما ولد، فمن المراد بالوالد ومن المراد بالولد؟

قيل: المراد بالوالد آدم، وبالولد بنو آدم وعلى هذا تكون (مَا) بمعنى (مَنْ) أي: ووالد ومن ولد، لأن (من) للعقلاء، و(ما) لغير العقلاء.

وقيل: المراد بالوالد وما ولد كل والد وما ولد، الإنسان والبهائم وكل شيء، لأن الوالد والمولود كلاهما من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ، كيف يخرج هذا المولود حيًّا سويًّا سميعاً بصيراً من نطفة من ماء، فهذا دليل على كمال قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا الولد السوي يخرج من نطفة ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

كذلك الحشرات وغيرها تخرج ضعيفة هزيلة، ثم تكبر إلى ما شاء الله تعالى من حد. والصحيح أن هذه عامة تشمل كل والد وكل مولود ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ اللام هنا واقعة في جواب القسم، لتزيد الجملة تأكيداً، و(قَدْ) تزيد الجملة تأكيداً

أيضاً فتكون جملة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ مؤكدة بثلاثة مؤكدات، وهي: القسم، واللام، وقد.

﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الإنسان اسم جنس يشمل كل واحد من بني آدم ﴿فِى كَبَدٍ﴾ فيها معنيان:

المعنى الأول: في استقامة، يعني أنه خلق على أكمل وجه في الخِلقة، مستقيماً يـمشي على قدميه، ويرفع رأسه، وبدنه معتدلاً. والبهائم بالعكس الرأس على حذاء الدبر، أما بنو آدم فالرأس مرتفع أعلى البدن، فهو كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤].

المعنى الثاني: قيل: المراد بـ﴿ كَبَدٍ ﴾ مكابدة الأشياء ومعاناتها، وأن الإنسان يعاني المشقة في أمور الدنيا، وفي طلب الرزق، وفي إصلاح الحرث وغير ذلك. ويعاني أيضاً معاناة أشد مع نفسه ومجاهدتها على طاعة الله، واجتناب معاصي الله، وهذا الجهاد الذي هو أشق من معاناة طلب الرزق، ولاسيما إذا ابتلي الإنسان ببيئة منحرفة وصار بينهم غريباً، فإنه سيجد الـمشقة في معاناة نفسه، وفي معاناة الناس أيضاً.

فإن قال قائل: أفلا يـمكن أن تكون الآية شاملة للمعنيين؟

فالجواب: بلى، وهكذا ينبغي إذا وجدت في الكتاب العزيز آية تـحتمل معنيين وليس بينهما مناقضة فاحملها على الـمعنيين، لأن القرآن أشمل وأوسع فإن كان بينهما مناقضة فانظر الراجح.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾

أي: أن الإنسان في نفسه وقوته يظن أن لن يقدر عليه أحد، لأنه في عنفوان شبابه وقوته وكبريائه وغطرسته، فيقول لا أحد يقدر علي، أنا أعمل ما شئت، حتى الرب عَزَّوَجَلَّ

يظن أنه لا يقدر عليه، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وهذا لا شك بالنسبة للكافر، أما المؤمن فإنه يعلم أن الله قادر عليه، وأنه على كل شيء قدير فيخاف منه.

﴿يَقُولُ﴾ أي يقول الإنسان أيضاً في حال غناه وبسط الرزق له.

﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: مالاً كثيراً في شهواته وفي ملذاته.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾

أيظن هذا أنه لا يراه أحد في تبذيره المالَ، وصرفه في ما لا ينفع، وكل هذا تهديد للإنسان أن يتغطرس، وأن يستكبر من أجل قوته البدنية، أو كثرة ماله.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾.

هذه ثلاث نعم من أكبر النعم على الإنسان ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يعني يبصر بهما ويرى بهما، وهاتان العينان تؤديان إلى القلب ما نظر إليه الإنسان، فإن نظر نظرة محرمة كان آثماً، وإن نظر نظراً يقربه إلى الله كان غانماً، وإذا نظر إلى ما يباح له فإنه لا يحمد ولا يذم ما لم يكن هذا النظر مفضياً إلى محظور شرعي فيكون آثماً بهذا النظر.

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ لسانٌ ينطق به، وشفتان يضبط بهما النطق، وهذه من نعم الله العظيمة، لأنه بهذا اللسان والشفتين يستطيع أن يعبر عما في نفسه، ولولا هذا ما استطاع، لو كان لا يتكلم فكيف يعبر عما ما في قلبه؟ كيف يعلم الناس بما في نفسه؟ اللهم إلا بإشارة تتعب، يتعب المشير ويتعب الذين أشير إليهم.

وهذا من نعمة الله، وهو أيضاً من عجائب قدرته: يأتي النطق من هواء يكون من الرئة يـخرج من مخارج معينة، إن مر بشيء صار حرفاً، وإن مر بشيء آخر صار حرفاً آخر، وهو هواء واحد من مخرج واحد، لكن يمر بشعيرات دقيقة في الحلق، وفي الشفتين، وفي اللثة هذه الشعرات تكون الحروف. فتجد مثلاً الباء والشين يخرجان بهواء يندفع من الرئة ومع ذلك تختلف باختلاف ما تـمر عليه في هذا الفم، ومخارج الحروف المعروفة، هذا من تـمام قدرة الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ فيه قولان:

الأول: قيل: أي بينا له طريق الخير، وطريق الشر.

الثاني: دللناه على ما به غذاؤه وهو الثديان؛ فإنهما نـجدان لارتفاعهما فوق الصدر، فهداه الله تعالى وهو رضيع لا يعرف، فمن حين أن يخرج وتضعه أمه يطلب الثدي، والذي أعلمه الله عَزَّوَجَلَّ، فبين الله عَزَّوَجَلَّ منته على هذا الإنسان من حين أن يخرج يهتدي إلى النجدين. وفي بطن أمه يتغذى عن طريق السـرة؛ لأنه لا يستطيع أن يتغذى من غير هذا، فلو تغذى عن طريق الفم لاحتاج إلى بول وغائط، وكيف ذلك؟ لكنه عن طريق السرة يأتيه الدم من دم أمه وينتشر في عروقه حتى يحيا إلى أن يأذن الله تعالى بإخراجه.

ما يستفاد من الآيـات:

١ – يقسم الله بمكة قسما مؤكدا بـ "لا" لشرفها وحرمتها..

٢– علو شأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعلو قدره حيث أحل له القتال في مكة وهي البلد الحرام ساعة من نهار ولم تحل لأحد من قبله ولن تحل لأحد بعده فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة.

٣– الإنسان لا يرتاح في هذه الحياة الدنيا التي لا تخلو من التعب والنصب، حتى المات فإما أن يستقر ويرتاح في الجنة وإما أن يلاقي أشد من تعبه هذا في النار.

٤ - بيان أن الله تعالى قد بيّن لعباده طريق الخير وحثهم على سلوكه، وبيّن لهم طريق الشر وحذرهم من سلوكه.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما القسم الذي أقسم الله به في هذه الآيات؟ وما جواب القسم؟

س٣: تكلم عن تفسير قوله تعالى﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾.

س٤: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من النص؟

(النص الثاني)

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ
١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ
مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ
بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾

المعنى الإجمالي للآيات:

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ أي الإنسان الذي كان ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ يعني هلا اقتحم العقبة؟ والاقتحام هو التجاوز بمشقةٍ يسمى اقتحاماً.

و﴿ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ هي الطريق في الجبل الوعر ولا شك أن اقتحام هذه العقبة شاق على النفوس، لا يتجاوزه أو لا يقوم به إلا من كان عنده نية صادقة في تجاوز هذه العقبة.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾

هذا الاستفهام للتشويق والتفخيم أيضاً، يعني: ما الذي أعلمك شأن هذه العقبة التي قال الله عنها ﴿ فَلاَ اقتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ بينها الله في قوله ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ هي خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: «هي فك رقبة» وفك الرقبة له معنيان:

المعنى الأول: فكها من الرق، بحيث يعتق الإنسان العبيد المملوكين

سواء كانوا في ملكه فيعتقهم، أو كانوا في ملك غيره فيشتريهم ويعتقهم.

المعنى الثاني: فك رقبة من الأسير، فإن فكاك الأسير من أفضل الأعمال عند الله عَزَّوَجَلَّ. والأسير ربما لا يفكه العدو إلا بفدية مالية، وربما تكون هذه الفدية فدية باهظة كثيرة لا يقتحمها إلا من كان عنده إيمان بالله عَزَّوَجَلَّ بأن يخلف عليه ما أنفق، وأن يثيبه على ما تصدق.

﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾

﴿أَوۡ﴾ هذه للتنويع يعني وإما ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ أي: ذي مجاعة شديدة، لأن الناس قد يصابون بالمجاعة الشديدة، إما لقلة الحاصل من الثمار والزروع، وإما لأمراض في أجسامهم يأكل الإنسان ولا يشبع، وهذا قد وقع فيما نسمع عنه في البلاد النجدية وربما في غيرها أيضاً. أن الناس يأكلون ولا يشبعون، يأكل الواحد مأكل العشرة ولا يشبع، ويموتون من الجوع في الأسواق ويتساقطون في الأسواق من الجوع، هذه من المساغب. أو قلة المحصول بحيث لا تثمر الأشجار، ولا تنبت الزروع، فيقل الحاصل وتحصل المسغبة، ويموت الناس جوعاً، وربما يهاجرون عن بلادهم.

﴿يَتِيمٗا﴾ اليتيم هو من مات أبوه قبل أن يبلغ سواءٌ أكان ذكراً أم أنثى.

فإن بلغ فإنه لا يكون يتيماً؛ لأنه بلغ وانفصل. وكذلك لو ماتت أمه فإنه لا يكون يتيماً، خلافاً لما يظنه بعض العامة، أن اليتيم من ماتت أمه وهذا ليس بصحيح، فاليتيم من مات أبوه؛ لأنه إذا مات أبوه لم يكن له كاسب من الخلق يكسب له.

﴿ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾ ذا قرابة من الإنسان لأنه إذا كان يتيماً كان له حظ من الإكرام والصدقات، وإذا كان قريباً ازداد حظه من ذلك؛ لأنه يكون واجب الصلة، فمن جمع

هذين الوصفين اليتم والقرابة فإن الإنفاق عليه من اقتحام العقبة إذا كان ذلك في يوم ذي مسغبة.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾

يعني: أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴿مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، المسكين: هو الذي لا يجد قوته ولا قوت عياله. المتربة: مكان التراب، والمعنى: أنه مسكين ليس بيديه شيء إلا التراب. ومعلوم أنه إذا قيل عن الرجل: ليس عنده إلا التراب، فالمعنى: أنه فقير جداً ليس عنده طعام، وليس عنده كساء، وليس عنده مال فهو مسكين ذو متربة.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾

﴿ثُمَّ كَانَ﴾ يعني: ثم هو بعد ذلك ليس محسناً على اليتامى والمساكين فقط، بل هو ذو إيمان، آمن بكل ما يجب الإيمان به. وقد بين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يجب الإيمان به، فقال حين سأله جبريل عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر، فهم صابرون متواصون بالصبر بأنواعه الثلاثة: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة.

وقد اجتمعت هذه الأنواع الثلاثة في الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، فها هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صابر على طاعة الله، يجاهد في سبيل الله، ويدعو إلى الله، ويؤذى ويعتدى عليه بالضرب، حتى همَّ المشركون بقتله وهو مع ذلك صابر محتسب، وهو أيضاً صابر عن معصية الله، لا يمكن أن يغدر بأحد، ولا أن يَكْذُبَ أحداً، ولا أن يخون أحداً، وهو أيضاً متَّقٍ لله تعالى بقدر ما يستطيع. كذلك صابر على أقدار الله، كم أوذي في الله عَزَّوَجَلَّ من أجل طاعته، ألم تؤذيه قريش حتى إذا رآه بعضهم ساجداً

تحت الكعبة أمروا من يأتي بسلا ناقة فيضعه على ظهره، وهو ساجد عليه الصلاة والسلام؟! وهو صابر في ذلك كله.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً أن يرحم الآخر، ورحمة الإنسان للمخلوقات تكون في البهائم وتكون في الناطق. فهو يرحم آباءَه، وأمهاته، وأبناءَه، وبناته، وإخوانه، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وهكذا. ويرحم كذلك سائر البشر، وهو أيضاً يرحم الحيوان البهيم فيرحم ناقته، وفرسه، وحماره، وبقرته، وشاته، وغير ذلك، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ أي هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات.

﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ أي: أصحاب اليمين، الذين يُؤتون كتابهم يوم القيامة بأيمانهم، فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي: جحدوا بها.

﴿هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾

﴿هُمْ﴾: الضمير هنا جاء للتوكيد، ولو قيل في غير القرآن: والذين كفروا بآياتنا أصحاب المشئمة. لصح لكن هذا من باب التوكيد.

﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ يعني: الشمال أو الشؤم.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ أي عليهم نار مغلقة، لا يخرجون منها ولا يستطيعون.

ما يستفاد من الآيات:

١- على الإنسان اقتحام العقبة بمجاهدة نفسه للخلوص من عقاب الله وبعمل الصالحات من عتق الرقاب والإطعام في أيام المجاعة والصدقة على المساكين وغيرها من أعمال الخير.

٢- أصحاب اليمين هم الذين آمنوا بالله وبرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعملوا الصالحات وتواصوا فيما بينهم بالصبر والتراحم.

٣- أصحاب الشمال جزاؤهم نار مطبقة مغلقة عليهم.

الأسئلة

س١: اذكر ما تعرف عن معنى تفسير قوله تعالى﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾.

س٢: ما الأمور الأربعة التي تُقتحم العقبة لأجلها لينجو المرء من عذاب الله تعالى؟

س٣: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من الآيات؟

سورة الفجر
(مكية)

وجه تسميتها بهذا الاسم لافتتاحها بقوله تعالى ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾.

(النص الأول)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ
٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ
بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨
وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠
ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ
عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- حوت من المقاصد ضرب المثل لمشركي أهل مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم بمثل عاد وثمود وقوم فرعون، وإنذارهم بعذاب الآخرة.

٢- تثبيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مع وعده باضمحلال أعدائه.

٣- إبطال غرور المشركين من أهل مكة إذ يحسبون أن ما هم فيه من النعيم علامة على أن الله أكرمهم وأن ما فيه المؤمنون من الخصاصة علامة على أن الله أهانهم.

٤ – بيان أن المشكرين أضاعوا شكر الله على النعمة فلم يواسوا ببعضها الضعفاء وما زادتهم إلا حرصا على التكثر منها.

٥ – بيان أنهم يندمون يوم القيامة على أن لم يقدموا لأنفسهم من الأعمال ما ينتفعون به يوم لا ينفع نفسا مالها ولا ينفعها إلا إيمانها وتصديقها بوعد ربها. وذلك ينفع المؤمنين بمصيرهم إلى الجنة.

المعنى الإجمالي للآيات:

الظاهر أن المقسم به، هو المقسم عليه، وذلك جائز مستعمل، إذا كان أمرًا ظاهراً مهمًا، وهو كذلك في هذا الموضع.

فأقسم تعالى بالفجر، الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه وحده المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله بها، ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، وهي على الصحيح: ليالي عشر رمضان، أو ﴿عشر﴾ ذي الحجة، فإنها ليال مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع في غيرها.

وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام. وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة لأن يقسم الله بها.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمة منه تعالى وحكمة.

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ أي: ﴿لذي﴾ عقل؟ نعم، بعض ذلك يكفي، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بقلبك وبصيرتك كيف فعل بهذه الأمم الطاغية، وهي ﴿إِرَمَ﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: القوة الشديدة، والعتو والتجبر.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾ أي: مثل عاد ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ أي: في جميع البلدان ﴿في القوة والشدة﴾، كما قال لهم نبيهم هود عليه السلام: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أي: وادي القرى، نحتوا بقوتهم الصخور، فاتخذوها مساكن، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ أي: ﴿ذي﴾ الجنود الذين ثبتوا ملكه، كما تثبت الأوتاد ما يراد إمساكه بها، ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ هذا الوصف عائد إلى عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم، فإنهم طغوا في بلاد الله، وآذوا عباد الله، في دينهم ودنياهم، ولهذا قال:

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ وهو العمل بالكفر وشعبه، من جميع أجناس المعاصي، وسعوا في محاربة الرسل وصد الناس عن سبيل الله، فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذنوبًا وسوط عذاب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ لمن عصاه يمهله قليلا ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

ما يستفاد من الآيــات:

١ – أن الله تعالى يقسم بما يشاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله.

٢– ذكر الله سبحانه عادا وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله، جاحدين لكتبه، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم، وجعلهم أحاديث وعبَرا.

٣– توعد الله من يخالف أمره ويرتكب ما نهى عنه بأن يجازيه الجزاء الأوفى يوم القيامة وأنه له بالمرصاد.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: تكلم بالتفصيل عن الأمم التي أهلكها الله تعالى وأشار إليها في هذا النص

(النص الثاني)

﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ
أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ
﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾

المعنى الإجمالي للآيات:

يخبر الله تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل على كرامته عنده وقربه منه، وأنه إذا ﴿ قدر عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ أي: ضيقه، فصار يقدر قوته لا يفضل منه، أن هذا إهانة من الله له، فرد الله عليه هذا الحسبان: بقوله ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد، ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوبيل.

وأيضًا، فإن وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴾ الذي فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه. فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ أي: لا يحض بعضكم بعضًا على إطعام المحتاجين من المساكين والفقراء، وذلك لأجل الشح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب، ولهذا قال: ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ أي: المال المخلف ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ أي: ذريعًا، لا تبقون على شيء منه.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ أي: كثيرًا شديدًا، وهذا كقوله تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ ١٧]. ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠ ٢١].

ما يستفاد من الآيات:

١- الواجب على العبد أن يشكر الله تعالى على نعمه معترفا أن ذلك من فضل الله عليه لا بحسبه ولا بجاهه.

٢- وجوب إكرام اليتامى والحض على إطعام الجياع من فقراء ومساكين وغيرهم.

٣- وجوب قسمة المواريث وإعطائها لمستحقيها ذكوراً أو إناثاً صغاراً أو كباراً.

٤- التحذير من حب المال والتعلق به.

الأسئلة

س١: من أين يؤخذ الحث على إعطاء الأطفال والنساء حقهم من الميراث كما في النص السابق؟

س٢: ما الصفات الأربع التي ذمها الله تعالى في هذا النص وحذّر منها؟ وما الذي يُهذب النفس البشرية لتتخلص من هذه الصفات؟

س٣: ما الفوائد التي تؤخذ من النص؟

(النص الثالث)

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا
صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ
وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾
يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً
مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾

المعنى الإجمالي للآيات:

في قوله تعالى ﴿كَلَّآ﴾ أي: ليس كل ما أحببتم من الأموال، وتنافستم فيه من اللذات، بباق لكم، بل أمامكم يوم عظيم، وهول جسيم، تدك فيه الأرض والجبال وما عليها حتى تجعل قاعًا صفصفًا لا عوج فيه ولا أمت.

ويجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات كلهم، صفًا صفا أي: صفًا بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذل للملك الجبار.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ تقودها الملائكة بالسلاسل.

فإذا وقعت هذه الأمور فـ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ما قدمه من خير وشر.

﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ فقد فات أوانها، وذهب زمانها، يقول متحسرًا على ما فرط في جنب الله: ﴿ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ الدائمة الباقية، عملا صالحًا، كما قال تعالى:

﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ ٢٨].

وفي الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها، وفي تتميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له.

﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ فإنهم يقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين، وأما من اطمأن إلى الله وآمن به وصدق رسله، فيقال له: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ إلى ذكر الله، الساكنة ﴿إلى﴾ حبه، التي قرت عينها بالله.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ الذي رباك بنعمته، وأسدى عليك من إحسانه ما صِرْتى به من أوليائه وأحبابه ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ أي: راضية عن الله، وعن ما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها.

﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به حال الموت.

ما يستفاد من الآيات:

١- بيان بعض مظاهر يوم القيامة وأهوالها؛ من اندكاك الأرض، ومجيء الرب تبارك وتعالى ومعه الملائكة، والمجيء بجهنم وهي تُجر جراً.

٢- ثبوت صفة المجيء لله تعالى، والردّ على من تأولها.

٤- بيان شدة حسرة المفرّطين اليوم في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأسئلة

س١: ما الأهوال الثلاثة من أهوال يوم القيامة التي ذكرت في النص؟ وما موقف الإنسان المفرط منها؟

س٢: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾؟ وما الصفة التي تؤخذ منها من صفات الرب تبارك وتعالى؟

س٣: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من النص؟

سورة الغاشية
(مكية)

سـميت هذه السـورة بهذا الاسـم لافتتاحها بقوله تعالى ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾

(النص الأول)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ
نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ
لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧ وُجُوهٞ
يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠ لَّا تَسۡمَعُ
فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ
مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦ ﴾

من مقاصد هذه السورة:

١ – اشتملت هذه السورة على تهويل يوم القيامة وما فيه من عقاب قوم مُشوَّهة حالتُهم، ومن ثواب قوم نَاعمة حالتُهم وعلى وجه الإجمال المرهب أو المرغب.

٢ – الإيماء إلى ما يبين ذلك الإجمال كله بالإنكار على قوم لم يهتدوا بدلالة مخلوقات مِنْ خَلْقِ الله وهي نصب أعينهم، على تفرده بالإلهية فيعلم السامعون أن الفريق المهدد هم المشركون.

٣- بيان إمكان إعادته بعض مخلوقاته خلقا جديدا بعد الموت يوم البعث.

٤- تثبيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الدعوة إلى الإسلام وأن لا يعبأ بإعراضهم.

٥- أن وراءهم البعث فهم راجعون إلى الله فهو مجازيهم على كفرهم وإعراضهم.

المعنى الإجمالي للآيات:

يذكر تعالى أحوال يوم القيامة وما فيها من الأهوال الطامة، وأنها تغشى الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميزون إلى فريقين: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير.

فأخبر عن وصف كلا الفريقين، فقال في وصف أهل النار: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿خَاشِعَةٌ﴾ من الذل، والفضيحة. والخزي.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أي: تاعبة في العذاب، تجر على وجوهها، وتغشى وجوههم النار.

ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ في الدنيا لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان، صار يوم القيامة هباء منثورا، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحًا من حيث المعنى، فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول، لأنه قيده بالظرف، وهو يوم القيامة، ولأن المقصود هنا بيان وصف أهل النار عمومًا، وذلك الاحتمال جزء قليل من أهل النار بالنسبة إلى أهلها؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا.

وقوله: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: شديدًا حرُّها، تحيط بهم من كل مكان، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أي: حارة شديدة الحرارة ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]. فهذا شرابهم.

وأما طعامهم فـ ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾ وذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة نسأل الله العافية.

وأما أهل الخير، فوجوههم يوم القيامة ﴿نَّاعِمَةٞ﴾ أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسروا غاية السرور.

﴿لِّسَعۡيِهَا﴾ الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلى عباد الله، ﴿رَاضِيَةٞ﴾ إذ وجدت ثوابه مدخرًا مضاعفًا، فحمدت عقباه، وحصل لها كل ما تتمناه، وذلك أنها ﴿فِي جَنَّةٍ﴾ جامعة لأنواع النعيم كلها، ﴿عَالِيَةٖ﴾ في محلها ومنازلها، فمحلها في أعلى عليين، ومنازلها مساكن عالية، لها غرف ومن فوق الغرف غرف مبنية يشرفون منها على ما أعد الله لهم من الكرامة.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾ [الحاقة: ٢٣]. أي: كثيرة الفواكه اللذيذة، المثمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول، بحيث ينالونها على أي: حال كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو يستعصي عليهم منها ثمرة.

﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿لَٰغِيَةٗ﴾ أي: كلمة لغو وباطل، فضلا عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن ﴿نافع﴾ مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، وعلى الآداب المستحسنة بين المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور.

﴿فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ﴾ وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاءوا، وأنى أرادوا.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرۡفُوعَةٌ﴾ و «السرر» جمع «سرير» وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبها عليها من الفرش اللينة الوطيئة.

﴿وَأَكۡوَابٌ مَّوۡضُوعَةٌ﴾ أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون.

﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٌ﴾ أي: وسائد من الحرير والاستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، ويصفوها بأنفسهم.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ والزرابي هي: البسط الحسان، مبثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب.

ما يستفاد من الآيـات:

١- بيان شدة يوم القيامة وأهواله وأن من أسمائه الغاشية التي تغشى الناس بأهوالها.

٢- بيان أن العمل إذا كان باطلاً مخالفاً للكتاب والسنة فإنه لا ينفع صاحبه مهما كثُر.

٣- بيان انقسام الناس يوم القيامة إلى فريقين؛ فريق في الجنة وما يلقى فيها من النعيم، وفريق في النار وما يلاقي فيها من العذاب بأنواعه، وهذا كثيرٌ جداً في كتاب الله تعالى.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما الذي أعده الله تعالى لأهل الجنة من النعيم كما درست من خلال الآيات؟

س٣: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من الآيات؟

(النص الثاني)

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ
﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ
﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا
مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ
إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾

المعنى الإجمالي للآيات:

يقول تعالى حثًا للذين لا يصدقون الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولغيرهم من الناس، أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ أي: ألا ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد، وذللها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ بهيئة باهرة، حصل بها استقرار الأرض وثباتها عن الاضطراب، وأودع فيها من المنافع الجليلة ما أودع.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: مدت مدًا واسعًا، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر الخلائق على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها.

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصًا في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم

الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًا، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر.

وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة، فيكون كرويًا مسطحًا، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: ذكر الناس وعظهم، وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم، ولم تبعث مسيطرًا عليهم، مسلطًا موكلا بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق: ٤٥].

وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ أي: لكن من تولى عن الطاعة وكفر بالله ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ أي: الشديد الدائم، ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ أي: رجوع الخليقة وجمعهم في يوم القيامة.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ فنحاسبهم على ما عملوا من خير وشر.

ما يستفاد من الآيــات:

١- الدعوة إلى التدبر والتفكر والنظر في مخلوقات الله تعالى وآياته.

٢- بيان أن الداعي إلى الله تعالى مهمته الدعوة وبيان الأدلة دون هداية القلوب فإنها إلى الله تعالى وحده.

٣- بيان شدة عذاب الله تعالى وهوله حيث وصفه بالأكبر، وهذا يُوجب تقواه والخوف منه.

٤- بيان أن رجوع الإنسان وإيابه إلى خالقه ومدبره وهو الذي سيحاسبه على جميع أعماله.

الأسئلة

س١: ما هي المخلوقات التي أمر الله تعالى بالتفكر في خلقها؟

س٢: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾؟

سورة الأعلى
(مكية)

سميت بسورة الأعلى لافتتاحها بقوله تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾.

(النص الأول)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣
وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦
إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ٨ فَذَكِّرۡ
إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ٱلَّذِي
يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣ ﴾

من مقاصد هذه السورة:

١- اشتملت على تنزيه الله تعالى والإشارة إلى وحدانيته لانفراده بخلق الإنسان وخلق ما في الأرض مما فيه بقاؤه.

٢- تأييد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتثبيته على تلقي الوحي.

٣- بيان أن الله معطيه شريعة سمحة وكتابا يتذكر به أهل النفوس الزكية الذين يخشون ربهم، ويعرض عنهم أهل الشقاوة الذين يؤثرون الحياة الدنيا ولا يعبأون بالحياة الأبدية.

٤- بيان أن ما أوحي إليه يصدقه ما في كتب الرسل من قبله وذلك كله تهوين لما يلقاه من إعراض المشركين.

المعنى الإجمالي للآيات:

يأمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسماؤه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم، وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسواها، أي: أتقنها وأحسن خلقها، ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ تقديرًا، تتبعه جميع المقدرات ﴿فَهَدَىٰ﴾ إلى ذلك جميع المخلوقات.

وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال فيها: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أي: أنزل من السماء ماء فأنبت به أنواع النبات والعشب الكثير، فرتع فيها الناس والبهائم وكل حيوان، ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب، ألوى نباته، وصَوَّحَ[1] عشبه، ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ أي: أسود أي: جعله هشيمًا رميمًا، ويذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتن الله بأصلها ومنشئها، وهو القرآن، فقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئًا، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن الله سيعلمه علمًا لا ينساه.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة، ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده أي: فلذلك يشرع ما أراد، ويحكم بما يريد، ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ وهذه أيضًا بشارة كبيرة، أن الله ييسر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لليسرى في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسرا.

---

(١) صوح: يبس وتشقق.

﴿فَذَكِّرْ﴾ بشرع الله وآياته ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: ما دامت الذكرى مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه.

ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأمورًا بها، بل منهيًا عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين.

فأما المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ الله تعالى، فإن خشية الله تعالى، وعلمه بأن سيجازيه على أعماله، توجب للعبد الانكفاف عن المعاصي والسعي في الخيرات.

وأما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ وهي النار الموقدة، التي تطلع على الأفئدة.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: يعذب عذابًا أليمًا، من غير راحة ولا استراحة، حتى إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

ما يستفاد من الآيات:

١- أمر الله نبيه أن يسبحه وينزهه عن كل نقص فهو الذي خلق الخلائق كلها وسوى كلَّ مخلوق في أحسن هيئة.

٢- الحياة الدنيا كالنبات تبدو زاهية جميلة ثم تنتهي لتصبح حطاما.

٣- ثبت في السنة مشروعية قراءة هذه السورة في صلاة الوتر والجمعة.

٤- التفكر في آيات الله يزيد الإيمان ويعرف العبد بقدرة الله تعالى.

الأسئلة

س١: اذكر مقصدين من مقاصد هذه السورة.

س٢: ما معنى قوله تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾؟

س٣: من أين يؤخذ طلب الله تعالى من نبيه عليه الصلاة والسلام تذكير الناس ووعظهم؟

س٤: ما توجيه العلماء لقوله تعالى ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾؟

س٥: ما الذي يؤخذ ويُستفاد من النص؟

(النص الثاني)

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي
ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾

المعنى الإجمالي للآيات:

في قوله تعالى ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق، ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ أي: اتصف بذكر الله، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله، خصوصًا الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنى الآية الكريمة، وأما من فسر قوله ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بمعني أخرج زكاة الفطر، وذكر اسم ربه فصلى، أنه صلاة العيد، فإنه وإن كان داخلا في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنى وحده.

﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: تقدمونها على الآخرة، وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل على الآخرة.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ وللآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء، والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ اللذين هما أشرف المرسلين، سوى النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان. فإنه وإن كان داخلا في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنى وحده.

ما يستفاد من الآيات:

١- الترغيب في التسبيح والذكر والحفاظ على الصلوات المكتوبة.

٢- الوعد بالفوز والفلاح لمن طهر نفسه وزكاها بالإيمان والأعمال الصالحة.

٣- الحث على الزهد في الدنيا والترغيب في الإقبال على الآخرة..

الأسئلة

س١: ما تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾؟

س٢: من أين يؤخذ الحث على الإقبال على الآخرة والزهد في الدنيا كما في الآيات؟

س٣: ما الفوائد التي تُؤخذ وتُستفاد من النص؟

المصادر والمراجع

- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- سنن الترمذي.
- سنن النسائي.
- سنن أبو داوود.
- السلسلة الصحيحة للألباني.
- تفسير القرطبي.
- تفسير السعدي.
- مقدمة التفسير لابن تيمية.
- أصول التفسير لابن عثيمين.
- تفسير جزء عم ابن عثيمين.
- التبيان في آداب القرآن للنووي.
- أخلاق حملة القرآن للآجري.
- فوائد منتقاة من حديث أبي شعيب الحراني.
- التحرير والتنوير لابن عاشور.

المحتويات

الحكومة الليبية المؤقتة
LIBYAN INTERIM GOVERNMENT

وزارة التعليم
MINISTRY OF EDUCATION

المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية
GENERAL CENTER FOR EDUCATION
CURRICULUM AND RESEARCH STUDIES

التاريخ : 2018 ,09, 10
الرقم الإشاري : 2018 .30.264

السيد المحترم: رئيس مجلس الإدارة بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية

بداية لكم ولكل العاملين معكم أصدق التحايا سائلين العلي القدير لنا ولكم التوفيق و السداد لخدمة البلاد والعباد.

بالإشارة إلى كتابكم رقم 1439/10/20 هجري - الموافق: 2018/07/04 ميلادي بشأن اعتماد المناهج التي تدرس بالمعاهد الدينية التابعة للحكومة الليبية المؤقتة من قبل المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية وبناء على تأشيرة السيد وكيل وزارة التعليم بالإجراء، وإلى كتابنا رقم 2018.5.239 المؤرخ في 2018/08/28 ميلادي الموجه للسيد وكيل وزارة التعليم بشأن مخاطبتكم لمعالجة الملاحظات الواردة في خلاصة عمل اللجنة المكلفة بالمراجعة، وعلى كتاب السيد مدير الإدارة العامة للمعاهد الدينية رقم أ.م.د 2018/200/2377 المؤرخ في 1439/12/26 هجري الموافق :2018/09/06 ميلادي بشأن إنجاز التصليحات والتصويبات.

عليه لامانع من اعتماد المناهج والمقررات الدراسية الخاصة بالمعاهد الدينية التابعة لهيئتكم الموقرة و التي تم مراجعتها من قبل اللجنة المختصة وفق كتاب السيد مدير إدارة المناهج رقم 2018.7.263 المؤرخ في 2018/09/10 ميلادي، مع التأكيد على ضرورة تنفيذ ومعالجة الملاحظات الواردة بالتقرير الفني المرفق قبل أنجاز أي أعمال تتعلق بالتدريس أو بطباعة الكتب.

تفضلوا بالاستلام
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

10 / 9 / 2018

محمد علي المهشهش

مدير عام مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

صورة الى :
- السيد معالي وزير التعليم
- السيد وكيل وزارة التعليم
- السيد / مدير إدارة المناهج
- السيد / مدير لإدارة الكتاب المدرسي والمطابع
- الملف الدوري العام

rafek 2018 رفق

COU.MANG@MINISTRYOFEDUCATION.LY